

أرسين لويين

أرسين لويين في موسكو



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " مورييس بلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والانتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .
إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس .
وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصص بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .
فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعربة

أرسين لوبين في موسكو

(٧)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص ب ٣٧٤ جونية - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب
وبأية وسيلة إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر .

القسم الأول

اليد الخفية

الفصل الأول

مرح وقتل

- لقد جاء الرجل الفرنسي يا سيدتي ..
- وإلى أين ذهبت به ؟
- إلى غرفة الاستقبال .
- لماذا لم تذهب به إلى الغرفة الصغيرة المجاورة لغرفة "ناناشا" كما امرتك يا "اورميلوف" .
- عفوا يا سيدتي .. لقد أردت أن افتشه فلكمني وحاولت أن اصعد به إلى الطابق الأول فرفض .
- ألم تقل له إن كل إنسان يجب أن يفتش قبل أن يسمح له بدخول هذا المنزل وإن والدتي نفسها تخضع لهذه القاعدة ؟
- لقد قلت له ذلك يا سيدتي .. وحدثته عن والدتك وكيف أنها تفتش كلما جاءت لزيارتك .
- وبماذا اجاب !
- اجاب بأنه ليس والدتك .
- حسنا في استطاعتك أن تعفيه من التفتيش .
- سوف يغضب مدير البوليس إذا علم بذلك .
- سأتفاهم مع مدير البوليس .. اذهب أنت لحراسة الباب الخارجي يا "اورميلوف" .
- دار هذا الحديث القصير بين "ماترينا بتروفنا" والجندي "الشيخ اورميلوف" ثم انصرف الجندي إلى حديقة القصر لحراسة الباب الخارجي وصعدت "ماترينا بتروفنا" إلى الطابق الأول وقصدت إلى غرفة زوجها ..

كان زوجها الجنرال "فيودور تريباسوف" جالساً في مقعد كبير .
وقد دار حوله نفر من الاتباع والزائرين الذين اعتادوا الاختلاف على
بيته للجلوس إليه .. وإدخال التسلية على نفسه وهو جالس في
مقعده لا يستطيع مبارحته بسبب الجرح الخطير الذي أصاب ساقه
في حادث اعتداء كاد يؤدي بحياته .

فتحت "ماترينا بتروفنا" باب الغرفة ودخلت . فلم يلق أحد باله
إليها . ومضى المستشار "إيفان بتروفتش" يسرد على أصحابه آخر ما
سمع من الدعابات والطرائف . ثم راح الجنرال "تريباسوف" يقص
على سامعيه كيف أنه أقام مع بعض زملائه الضباط حفلة شراب
لجياذ الحرس القيصري حينما كان الجنرال لا يزال من صفار ضباط
الحرس .. ووصف كيف راحت الجياذ تصهل وترقص بعد أن انتشرت
وتملت . فانفجر القوم ضاحكين واغرورقت عيونهم بالدموع .

أصغت "ماترينا بتروفنا" إلى بعض هذه الأحاديث . ولم تشارك
زوجها وأصحابه في مرحهم .. بل هزت رأسها في شيء من السام
وانسحبت من الغرفة بعد أن أجالت بصرها في قلق بين "ناتاشا" ابنة
زوجها والضابط "بوريس موراخوف" الذي كان ينظر إلى "ناتاشا"
باستمرار ولا يحول عينيه عن وجهها الفاتن .

انسحبت زوجة الجنرال من الغرفة وهبطت الطابق الأول ومرت في
طريقها بقاعة صغيرة في مواجهة قاعة الاستقبال .

كان باب القاعة الصغيرة مفتوحاً .. فأبصرت "ماترينا بتروفنا"
بداخلها رجلاً جاثياً على يديه وركبتيه .. وقد كمن بحيث يستطيع أن
يرى كل من يجتاز باب المنزل .

كان الرجل يرتدي ثياب البوليس . فلم يكذب بصره على زوجة
الجنرال حتى أوما بأصبعه نحو قاعة الاستقبال فاطرقت "ماترينا
بتروفنا" برأسها مراراً إشارة إلى أنها تعلم بوجود شخص أجنبي في
تلك القاعة ..

كان يوجد حول منزل الجنرال وفي كل ركن من أركانه رجل من رجال
البوليس لمراقبة الزائرين ، محافظة على حياة الجنرال فيودور
تريباسوف . وهو إجراء اقتضاه وقوع ثلاثة اعتداءات متوالية على

حياة الجنرال الذي كان يشغل منصب حاكم موسكو العسكري .
كان الجنرال قد استطاع ان يخمد ثورة هائلة دبرها الفوضويون في
موسكو .. وقد اخمدوها بسرعة .. ولكن باستعمال شتى ضروب
القسوة والعنف .. وكانت النتيجة ان قرر الفوضويون اغتياله . وان
راحت تترى عليه رسائل التهديد بالموت . جزاء ما اقترف هو ورجاله
من الفضاعات في حادث تلك الثورة التي اعدم فيها عدد كبير من طلاب
جامعة موسكو وهلك فيها زهرة شباب العاصمة الروسية .

وقد اصبحت "ماترينا بتروفنا" - بعد حوادث الاعتداء الثلاثة -
لاتعيش في امن من اجل زوجها .. فهي تقضي النهار في تشجيع رجال
البوليس وحثهم على السهر على حياة زوجها .. وتقضي الليل في
التجول بين غرف المنزل ، واستقصاء كل صوت مريب وكل حركة غير
عادية . وقد كان لهذه الزوجة المخلصة من الملاحظات ما حفزها على
تشديد المراقبة ، ولم تفض بهذه الملاحظات إلى كائن من كان غير
كوبريان مدير البوليس الذي افضى بها بدوره إلى القيصر . فاستقدم
القيصر من فرنسا خصيصة رجلا من امهر رجال البوليس السري
فيها هو المفتش "جوستاف بوريل" ، واناط به مهمة التعاون مع
كوبريان على إمطة اللثام عن المؤامرات التي تدبر لقتل حاكم موسكو
العسكري .

دخلت "ماترينا" قاعة الاستقبال لمقابلة "جوستاف بوريل" الذي
انباها "أورميلوف" بقدومه ..

أجالت الطرف في أنحاء الغرفة . ولكنها لم تر أثراً للزائر الفرنسي .
ثم حانت منها التفاتة إلى باب آخر في قاعة الاستقبال يؤدي إلى
غرفة الطعام .. ولاحظت أنه مفتوح قليلا .

دهشت .. لأنها أغلقت هذا الباب بنفسها في اليوم السابق ..
واحتفظت بمفتاحه في غرفتها .. لكي يسهل على رجال البوليس
مراقبة الزائرين فلا ينتهز احدهم فرصة .. وينفذ إلى غرفة الطعام
فإلى الدهليز وإلى الطابق الأول حيث يقيم الجنرال .

أسرعت إلى الباب ونفذت منه إلى غرفة الطعام وهناك وقع بصرها
على منظر ادهشها أولا ، ثم جعل فمها يفتقر عن ابتسامة .

رات رجلا في مستقبل العمر ، معتدل القامة جالسا على حافة المائدة ،
وقد أقبل على الطعام بنهم كأنه لم يتذوق شيئا منذ اسبوع .

وشعر الرجل بدخول زوجة الجنرال ، فوثب من مكانه وحاول أن
يتكلم .. فخرج من فمه المليء بالطعام صوت مبهم جعل "ماترينا"
بتروفنا تغرق في الضحك ، وهي التي لم تضحك منذ بضعة اشهر .

وابتلع الرجل الطعام بسرعة . ثم قال بالفرنسية :

- أرجو المذرة يا سيدتي .. لكن القيصر نسي أن يدعوني لتناول
طعام الغداء .

فنظرت "ماترينا بتروفنا" حولها . ثم استقرت عيناها على الباب
وهتفت .

- ولكن كيف .

وامسكت عن الكلام ، فادرك "بوريل" غرضها . وقال :

- ليس أسهل على اللص ورجل البوليس السري من فتح الأبواب
المغلقة .. ولكن لولا أن رائحة الطعام ملأت أنفي ..

فقاطعت "ماترينا" بابتسامة . وسالت :

- هل قابلت جلالة القيصر .

- إنني قادم للتو من قصره .. إنه يملك أبداع مجموعة من اللآلئ
والأحجار الكريمة التي وقع عليها بصري . ولكن هل لي الشرف
بالتحدث إلى زوجة الجنرال "تريباسوف" نعم يا سيدي وأنت الست
مسيو "جوستاف بوريل" .

فحنى "بوريل" قامته وقال وعيناه تلمعان بتهكم ودهاء . بلى يا
سيدتي ، "جوستاف بوريل" مفتش البوليس بإدارة الأمن العام
بباريس . وأنا على استعداد لخدمتك وخدمة زوجك ولكن بشرط ألا
يكون لي شأن مع السادة الفوضويين . وقد ذكرت ذلك لوزير الداخلية
حين انتدبت لهذه المهمة ، وذكرته كذلك لجلالة القيصر .

- هل ذكر لك جلالة القيصر شيئا عن المهمة التي انتدبت لها .

- إن رجاله انتزعوني من القطار قبل أن أصل إلى موسكو ، وذهبوا
بي توا إلى قصر (تراكوي سيلو) حيث وجدت جلالة القيصر في
انتظاري . إنه في الحق رجل ظريف وقد فهمت منه أنه من أكثر الناس

اهتماما بقراءة الصحف الفرنسية وأنباء رجال البوليس الفرنسي
وحادث "أرسين لوبين".

فنظرت إليه "ماترينا بتروفنا" كمن لم يفهم من كلام محدثه شيئا
وغمغمت :

- "أرسين لوبين" ! عفوا يا سيدي فإنني لا أجد متسعا من الوقت
لقراءة الصحف الأجنبية . ولكن ماذا قال جلاله القيصر .

- قال لي إن رجال البوليس السري في فرنسا قد تعلموا بفضل
"أرسين لوبين" طريقة كشف الجرائم الغامضة ، والألغاز المستعصية ..
وأنه لذلك قد طلب انتداب أحد مفتشي البوليس للتعاون مع رجال
بوليس موسكو على حل مشكلة غير عادية .

ولما أنبأته بأنني لا أود أن تتوتر العلاقات الودية بيني وبين
السادة الفوضويين وأريد العودة إلى وطني ورأسي بين كتفي .. قال
لي وهو يبتسم :

إن المهمة التي انتدبت لها ليست من المهام السياسية .. ولكنها
مهمة تنصب على إنقاذ حياة خادمه المخلص الجنرال "تريباسوف" ..
الذي أوشك أن يذهب ضحية أغرب مأساة عائلية يمكن أن ..
فامتقع وجه "ماترينا بتروفنا" في الحال وهتفت :

- أه ..

ولاحظ "بوريل" امتقاعها وارتجاف أصابع يدها . فاستطرد دون أن
يبدو عليه أنه لاحظ شيئا :

- وقد قال لي القيصر بالحرف الواحد :

"إنني وزوجة الجنرال نلح عليك بالآ تدخر وسعا في إنقاذ زوجها
ومعرفة مصدر الخطر الذي يهدد حياته . والآن تستطيع أن تذهب
لمقابلة زوجة الجنرال فإنها تنتظرك على أحر من الجمر" .
وصمت "بوريل" .. وانتظر جواب "ماترينا بتروفنا" ففكرت هذه
الحظة . ثم سألت :

- هل قابلت الجنرال "كوبريان" ؟

- تعنين مدير البوليس ؟ نعم .. إنني قابلته . وقد رافقني بعد
انصرافي من القصر الامبراطوري . وبفضله قوبلت في المحطة مقابلة

الملوك .

وهنا صمتت "ماترينا بتروفنا" لحظة . ثم قالت وهي تجاهد لإخفاء انفعالها واضطرابها .

- اصغ إلي يا مسيو "بوريل" . إنني لست عند رأي الجنرال "كوبريان" ولست كذلك عند رأي جلالة القيصر ، وأريد أن اتحدث إليك في صراحة حتى لاتندم فيما بعد على تدخلك في امر لا يخلو من المتاعب والأخطار .

إن زوجي لم يكن ولن يكون ضحية أية مأساة عائلية فاسرتنا صغيرة وتتكون مني ومن الجنرال والأنسة "ناتاشا" ابنة الجنرال من زوجته الأولى . فلا محل إذن لأية مأساة بين ثلاثتنا . لأننا أسرة اعضاؤها متحدون ومتحابون .. كل ما في الأمر أن هناك طائفة من الفوضويين تحاول اغتيال زوجي لأنه جندي مخلص قام بواجبه نحو عرش جلالة القيصر .. هذا كل ما هنالك يا سيدي العزيز .

وكانما أرادت زوجة الجنرال أن تغير مجرى الحديث لأنها قالت على الأثر :

- أرى أنك جائع يا سيدي . وهذا مخيف . سندعوك لتناول الطعام معنا في التو واللحظة ، وعليك بعد الطعام أن تذهب في سبيلك .. نعم.. عليك أن تذهب في سبيلك وتترك لي مهمة الدفاع عن حياة زوجي.. سأحاول أن أنقذه بمفردي سأحاول وقد نطقت بالعبارة الأخيرة بصوت ينم عن الحزن والانفعال .. واغرورقت عيناهما بالدموع.. فقال "بوريل" :

- مهما يكن من أمر يا سيدتي فإن في استطاعتي أن اتعاون معك ، وقد قال لي "كوبريان" إن في الأمر سرا عويصا وأنا رجل مشغوف بكشف الأسرار العميقة وحل الألغاز المستعصية .

فهزت "ماترينا بتروفنا" رأسها وقالت :

- إنني أعرف رأي "كوبريان" ووجهة نظره .. ولكني لا أقره عليهما . ثم نظرت إلى "بوريل" بعينيها الواسعتين الساحرتين المغرورقتين بالدموع وقالت :

- لماذا لاتأكل يا سيدي .. تناول ما شئت من هذا الطعام وانس كل

ماسمعه من "كوبريان" .. نعم .. اجتهد متى عدت إلى بلادك أن تنسى كل ما سمعته .

- إنني أعدك بذلك يا سيدتي ..

- إنه القيصر هو الذي أصر على استقدامك . أما أنا فاعتقد أنه لا يزال في استطاعتي أن أدافع عن زوجي . وسالت الدموع من عينيها .. وهنا تذكر "بوريل" ما سمعه "كوبريان" عن بسالة هذه الزوجة في مقاومة الموت الذي يطوف ببيتها ويهدد زوجها .. تناول أصابعها المرصعة بالخواتم الماسية وشد عليها بين يديه . وقال في لطف :

- لاتبكي يا سيدتي .. إنهم يريدون قتل زوجك .. اليس كذلك .. فلنتعاون إذن على النضال ، وأعدك بالأدع أحدا يمس شعرة واحدة من رأس الجنرال .

- أنتعاون معي .. ضد الفوضويين ؟

- بل ضد العالم أجمع يا سيدتي .. إنني أكلت أكثر طعامك .. وأصبحت ضيفك .. وصديقك .

وهنا شعر بأصابعها تشد على يده بحرارة .

قالت له :

- لقد حدثني "كوبريان" كثيرا عن براعة رجال البوليس الفرنسي . وقد حدث هنا منذ بضعة أسابيع حادث غامض سأذكره لك فيما بعد .. فحفر هذا الحادث "كوبريان" على الاستعانة بأحد رجالكم .. وفاتح القيصر في ذلك فوافق .. وأصدر تعليماته إلى السفارة الروسية في باريس لاستقدامك .

- أه .. وهكذا علم الناس جميعا بانني منتدب لمهمة في روسيا .. وكانت النتيجة أن أحد السادة الفوضويين المبعدين في فرنسا فاجاني في القطار وأطلق علي الرصاص ليمنعني من الوصول إلى روسيا .

- يا إلهي .. وهل قتلك .

فاجاب "بوريل" وهو يبتسم :

- لا بالتأكيد .. ولكن رصاصاته أصابت أحد المسافرين معنا في المركبة فقتلته على الأثر ..

- ولأن الشقي بالفرار ؟

- إنه وثب من القطار فسقط على الأرض وتهشمت جمجمته .
- يا لك من مسكين ، إذن قد قرر الأشقياء إعدامك أيضا .
- سوف يحاولون كثيرا قبل أن تصيبني قنابلهم ورصاصاتهم .
- والآن .. هل لك أن تسردي علي شيئا مما حدث لزوجك ؟
- يجب أن تتناول الطعام معنا أولا ، وأن أقدمك إلى زوجي وابنته .
- وفي هذه اللحظة حانت من "بوريل" التفاتة إلى حديقة المنزل ، فرأى بعض الرجال يجوسون خلالها فهمس:
- رجال البوليس .. اليس كذلك ؟
- فاطرقت "مارتينا بتروفنا" براسها علامة الإيجاب .
- سألها كم عددهم ؟
- عشرة رجال .. وهم يستبدلون بغيرهم كل ست ساعات .
- أي أن أربعين رجلا مجهولا يدخلون هذا المنزل كل يوم .
- إنهم ليسوا مجهولين . إنهم من رجال البوليس .
- ورغم ذلك فقد وجدت قبيلة في غرفة الجنرال .
- لم يكن يحرس المنزل وقتئذ غير ثلاثة رجال .. وقد زاد عددهم عقب هذا الحادث إلى عشرة .
- وبعد أن أصبح عددهم عشرة وقع حادث فقاطعته في قلق :
- أي حادث ! ؟
- أنت تعلمين . وقع حادث الأرض .. فرفعت سبابتها إلى شفيتها وهتفت :
- صه ..
- ونظرت حولها في جزع كأنها تخشى أن يكون هناك من سمع هذا الحديث .
- ثم همست .
- لا يوجد من يعلم بهذا الحادث . حتى ولازوجي .
- هذا ماقاله لي الجنرال "كوبريان" . إنه الذي اقترح عليك وضع عشرة من رجال البوليس لحراسة المنزل ..
- بالتأكيد ..
- إذن يجب أن تبدئي بطرد هؤلاء الرجال فامسكت بيده في فزع .

وسالت :

- أطردهم ؟ ماذا تعني ؟

- من الضروري معرفة مصدر الخطر .. وهذا المنزل يجمع أربعة عناصر من الناس : رجال البوليس .. والخدم وأصدقاء الأسرة .. وأفراد الأسرة .. ويجب الآن أن نبدأ بإبعاد عنصر البوليس .. فنحن لسنا بحاجة إليهم في الوقت الحاضر .. بل إنك لم تكوني قط بحاجة إليهم .. وقد رأيت أنهم لم يستطيعوا منع أية محاولة من المحاولات التي أوشكت أن تذهب بحياة زوجك .. سرحيهم .. وسوف لا تندمين على التخلص منهم ..

- ولكنك لا تعرف رجال "كوبريان" .. فقد برهنوا حتى الآن على إخلاص منقطع النظير ..

- اصغي إلي يا سيدتي .. إنني عندما أرى أحد الفوضويين أسأل نفسي في الحال ترى هل هو من رجال البوليس ؟ وإذا رأيت رجلا من البوليس سألت نفسي كذلك ترى هل هو من الفوضويين ؟؟
- أعلم أن فوضى المبادئ السياسية جعلت من المتعذر التمييز بين الصديق والعدو .. ولكن .

وترددت لحظة ثم استطردت :

- ولكني أعتقد أنهم لا يطيعونني إذا أمرتهم بالانصراف .
- هل بينهم من يتكلم اللغة الفرنسية ؟
- إن رئيسهم يفهم هذه اللغة .. وهو قائم بالحراسة في الغرفة المقابلة ..

- دعيني أتحدث إليه .

ولما أقبل الرجل الذي تكلمت عنه زوجة الجنرال بسط أمامه "بوريل" ورقة وعليها توقيع الجنرال "كوبريان" وقال له :

- والآن عليك أن تأمر رجالك بالجلء عن هذا المنزل ، وأن تذهب بهم إلى الجنرال "كوبريان" وتنبئه بأنني الذي أمرتكم بالانصراف ، لأنني لست بحاجة إلى التعاون معكم في الوقت الحاضر .

فحنى الرجل قامته باحترام .. ونظر إلى "ماترينا بتروفنا" نظرة تساؤل .. ولكنها أطرقت براسها .. فانصرف الرجل دون أن ينطق

بكلمة .

قالت "ماترينا" بشيء من الضراعة :

- أرجوك ان تنتظرنى لحظة .. وانصرفت في اثر الرجل ، ثم عادت بعد بضع ثوان وقالت تحدث "بوريل" .

- لم اشأ ان ادع هؤلاء الرجال الامناء ينصرفون هكذا .. وقد سالوني هل انا غير راضية عن عملهم . ولكني طماننتهم .. وأعطيتهم شيئاً من النقود .

فقال "بوريل" :

- هذا صحيح .. ولكنك فعلت أكبر من ذلك .. اذكري الحقيقة يا سيدتي .. إنك طلبت إليهم الا يبعدوا كثيراً عن المنزل .. وان يستمروا في الحراسة عن كذب فاحمر وجه "ماترينا بتروفنا" وقالت:
- نعم .. لقد طلبت منهم ذلك .. ولكنهم انصرفوا على كل حال .. لأنهم لا يستطيعون مخالفتك . ما هذه الورقة التي بسطتها أمام كبيرهم ؟

- إنها أمر من "كوبريان" لجميع رجال البوليس الذين يحرسون هذا المنزل بان يطيعوني وينزلوا على إرادتي .

- لو علم "كوبريان" بانك ستستخدم هذا الأمر لطرد رجاله من المنزل لما زدك به .

- الواقع انني لم اسأله رايه في هذا . ولكني استطيع التفاهم معه غدا .

فهتفت :

- ولكن من ذا الذي يقوم على حراسة المنزل إلى ان يتم ذلك التفاهم مع "كوبريان" ؟

فنظر في عينيها الواسعتين الساحرتين وقال بلهجة الواثق بنفسه:
- نحن ..

الفصل الثاني

الحراسة

كانت الساعة التي قضاهـا "بوريل" مع الجنرال "فيودور تريباسوف" وضيوفه في غرفة الطعام كافية لان تكشف له عن كثير من الحقائق التي كان يتعين عليه الإلمام بها .

علم أولا أن الجنرال "تريباسوف" رجل رابط الجأش لا تخيفه المؤامرات التي تدبر حوله ، ولاتزعجه الأخطار التي تتهدده ، وأنه رجل مسرف في الشراب ، محب للدعابة ، محبوب من زوجته وابنته "ناتاشا" .

وعلم ثانيا أن هناك ضابطين من حاشية الجنرال يتزاحمان حول "ناتاشا" . أحدهما "بوريس مورازوف" والثاني هو "ميشيل كورساكوف" .

وعلم ثالثا أن "بوريس مورازوف" ، وإن يكن من أخلص أتباع الجنرال "تريباسوف" ، إلا أنه شاب رقيق الإحساس وقد نظم القصائد الشعرية في رثاء الشباب الذين اعدموا في الثورة الأخيرة وشاركته "ناتاشا" هذا الشعور ، فراحت تتغنى بقصائده وتوقع الحانها على البيانو .

قضى "بوريل" بين القوم ساعة أو بعض ساعة تظاهر فيها بالاهتمام بالطعام والإصغاء إلى ما يدور حوله من الأحاديث والاستماع أخيرا إلى "ناتاشا" وهي تغني بصوتها الساحر .

وكان الجميع يتحدثون باللغة الفرنسية حتى لا يشعر "بوريل" بالحرج . وسرعان ما ساد جو المكان شيء من اللفة صرف الأذهان والانتظار عن الضيف الجديد الذي راح بدوره يداعب كلبا ضخما أنس إليه بسهولة وجعل يبصبص بذنبه كلما مسته يد "بوريل" .

وبينما كان القوم يقهقهون لنكتة نطق بها المستشار "إيفنان بتروفتش" بحثت "ماترين بتروفنا" حولها عن "بوريل" فلم تجد له أثرا انطلقت من الغرفة وراحت تبحث عنه ووقع بصرها عليه فجأة وهو

يخرج من إحدى الغرف والكلب في أثره .

قال لها وهو يبتسم :

- هذه غرفة أنيقة يدل أثاثها ونظامها على ذوق سليم فاجابته .

- إنها خاصة بالآنسة "ناتاشا" .. وتتصل بمخدعها .

- هذا ما لا حظته ، ولكن ما رأيك في هذا الكلب ياسيدتي هل انت

مطمئنة إلى حراسته وذكائه ؟

- إنه كلب مخلص . ونحن نعتمد عليه كثيرا . وقد أمر "كوبريان" بأن

نحبسه في الحديقة . وأكبر الظن أنه يخاف على رجاله أن يلتهمهم

هذا الكلب الأمين .

فهز "بوريل" رأسه وقال :

- لقد أحسن "كوبريان" صنعا . فالكلاب لا تفيد إلا في مراقبة

الغريباء ..

ونظر إليها نظرة ذات معنى . فاطرقت برأسها . ثم قالت لتغير

مجرى الحديث :

- هلم بنا .. لا شك أنهم شعروا بغياك كما شعرت .

- أود أن تحدثيني عن حوادث الاعتداء التي جرت ضد زوجك .

- هناك .. هناك .. في الغرفة حيث ينتظرنا الجميع لا أستطيع أن

أترك زوجي دون حراسة .. ودفعته "بوريل" أمامها إلى حيث كان القوم

يتحدثون ويضحكون ..

وجدا الجنرال لا يزال يصغي إلى "إيفان بتروفيتش" .

وابصرا "ناتاشا" وهي تتحدث إلى "ميشيل كورساكوف" . أما "بوريس"

فكان لا يحول عينيه عن "ناتاشا" .

انتحت "ماترينا بتروفنا" بـ "بوريل" ناحية .. وراحت تسرد عليه

حوادث الاعتداء قالت :

- لقد وقعت ضد زوجي ثلاث حوادث اعتداء . الحادث الأول في

موسكو .. كان زوجي يوم الحادث يتأهب للخروج . فحمل إليه أحد

اتباعه نسخة من المنشور الذي الصقه الفوضويون على جدران المنازل،

وصرحوا فيه بأنهم قتل زوجي فلما قرأ الجنرال محتويات

المنشور صرف الذين اعتادوا مرافقته في روحاته وغدواته . فسألته عن

غرضه من ذلك . فاجاب بانه يريد اجتياز شوارع المدينة جميعا دون حرس او اتباع ، ليثبت لاهل موسكو انه رجل لا يخشى التهديد والوعيد . فصممت على مرافقته .. ففكر قليلا ثم قال "حسنا .. إن مرافقتك إياي سيكون لها وقعها في النفوس" .

وانطلقت بنا المركبة في شوارع المدينة وكان السائق كلما ساد الجياد لتسرع .. انتهره زوجي وامره بان يبطئ في سيره حتى لا يتوهم احد انه خائف .

وقد لا حظت يومئذ ان المارة كانوا يفرون فزعا كلما وقعت ابصارهم على مركبتنا . وقد اغرق زوجي في الضحك عندما لاحظ ذلك .. وقال لي بصوت ينم عن الاسف "إن اهل المدينة يفسحون لي الطريق ، إنهم يفزعون مني كما لو كنت جلاهم ولكنهم لا يعلمون كم احبهم واعطف عليهم" .

واستمرت المركبة في طريقها .. وراحت تنتقل بنا من شارع إلى شارع دون ان يقع حادث .

بيد اننا لم نكد نجتاز الميدان الاحمر حتى صادفتنا طائفة من رجال البوليس وبينهم سجينان .. أحدهما شاب في مقتبل العمر ، والآخر طفل في التاسعة من عمره وكان أحد الجنود ينهال بالسوط على جسم الطفل ، والطفل يتمرغ على الأرض ويصرخ صراخا محزنا يفتت الأكباد .

أما الشاب فكان يتلقى ضربات السياط دون ان ينطق بكلمة ودون ان يحول رأسه يمنة او يسرة ..

هالني هذا المنظر فاستوقفت المركبة ، وصرخت بالضابط الذي يرافق رجال الشرطة :

- ألا تخجل يا هذا ؟ كيف تجرؤ على ضرب غلام كهذا لا يستطيع عن نفسه دفاعا ؟

فاجاب الضابط بان هذا الغلام قد قتل أحد ضباط البوليس برصاصة اطلقها عليه في عرض الطريق .

واخرج الضابط المسدس الذي استعمله الغلام .

كان اضخم مسدس رأيته في حياتي ، وقد ادهشني ان يتمكن مثل

ذلك الغلام الصغير من حملة وإطلاقه .

قال زوجي محدثا الضابط :

- وهذا الشاب ، ماذا فعل ؟

فاجاب الضابط :

- إنه طالب خطر وقد حاصرنا البيت الذي يقطنه ، ولما اوشكنا ان

نهدم البيت بقنابل المدافع سلم الشقي نفسه ، لآخوفاً من القنابل ،

وإنما اشفاقاً على صاحب البيت من أن يتهدم بيته .

- هذا حسن ، ولكن لماذا تضربونه بالسياط ؟

- لأنه طالب خطر .

فاجاب زوجي .

- هذا السبب لا يكفي ، إنه سيعدم إذا كان يستحق الإعدام ، وكذلك

هذا الغلام ، فينبغي ألا يضربا .. إنكم أعطيتهم هذه السياط لا لضرب

المعتقلين العزل من السلاح ، وإنما لتشتيت الجماهير التي ترفض

إطاعة الأوامر . هل سمعتم ؟

إنني أمركم بالأتضربوا هذين السجينين ، أنا الجنرال "تريباسوف"

حاكم موسكو العسكري .

وقد كان ما قاله زوجي هو عين الحكمة وعين الإنصاف ولكنه لقي

جزاء سنمار ، لأنه ما كاد ينطق باسمه ويقول إنه حاكم موسكو

العسكري حتى هتف الطالب :

- أهذا أنت يا "تريباسوف" ؟

وشهر مسدسا لا أعلم أين كان يخبئه .. وراح يطلق رصاصاته

علينا .

لم يصب زوجي بأذى لحسن الحظ .. أما أنا فقد أقيت بنفسي على

ذلك الطالب الخطر ، وامسكت بساعده حتى لا يصيب الهدف .. وما

زلت ممسكة به هكذا حتى أفاق رجال البوليس من دهشتهم وزعرهم

وأسرعوا لمعاونتي .. فطرحوا الشاب أرضا وانهالوا عليه ضربا

بالسياط والأحذية .

كانت الرصاصات لاتزال تنقذف من فوهة المسدس .. فأصابت ثلاثة

من رجال الشرطة ، وصرعتهم في الحال .

وعندئذ وثب زوجي من مركبته ، ولكم أحد رجال الشرطة الذين كانوا يبطشون بالطالب ، واجلس هذا الأخير في المركبة وذهب به إلى أقرب مركز للبوليس .

هذه هي أولى المحاولات .. ولكنها لم تكن محاولة مدبرة ، بل كانت في الواقع معركة كغيرها من المعارك التي نشبت في الأيام السابقة بين الفوضويين ورجال البوليس .

على أنه لم تكد تنقضي بضعة أيام حتى وقعت المحاولة الثانية لاغتيال زوجي .

وفي هذه اللحظة دخل "أورميلوف" حاملا بعض زجاجات الشراب ، فقال "بوريل" محدثا "ماترينا" .

- والمحاولة الثانية ؟

فاجابت :

- وقعت المحاولة الثانية في موسكو كذلك .. وكان وقوعها على غير انتظار .

كنا قد تناولنا طعام الغداء وخرجنا للنزهة ، ومعنا الضابط "بوريس" .. أما "ناتاشا" فكانت قد ذهبت لزيارة بعض الأصدقاء .. وكانت الثورة قد أتمدت تماما . وأخذ أهل العاصمة إلى الهدوء حتى خيل إلينا أن المياه عادت إلى مجاريها .. وأن الفتنة قد خباوأراها ..

ولكن المركبة ما كادت تسير بنا بضعة أمتار حتى دوى صوت انفجارها هائلا . ووجدنا أنفسنا بأسرع من لمح البصر ممددين على الأرض . وقد تبددت المركبة تماما ونفق الجوادان .

أما زوجي فقد أصابته إحدى شظايا القنبلة فجرحت ساقه جرحا بليغا لا يزال يعانيه حتى الآن .

وأما أنا "بوريس" فلم نصب بغير خدوش .

وأما السائق المسكين فلم يبق منه غير قبعته وسط بحيرة من الدماء .. والظاهر أن الأشقياء وضعوا القنبلة تحت مقعده . فلما انفجرت في الوقت المناسب مزقت جسمه إربا .

وقد لزم زوجي الفراش شهرين متواليين ، حدث بعدها أن فاجأنا

اثنين من الجنود في الطابق الأول من قصرنا ، ولم يكن لهما عمل في القصر فالقي القبض عليهما . وثبت عند التحقيق ان لهما صلة بالفوضويين والثوار فاعدا شنقا .

ولم يستطع زوجي ان يضطلع باعباء منصبه بعد هذه الإصابة فأحل جلاله القيصر محله حاكما عسكريا آخر بصفة مؤقتة . وحزم زوجي امره على السفر إلى فرنسا للاستشفاء ، فرحلنا بالقطار إلى "بترسبرج" . غير أن زوجي أصيب بالحمى في أثناء هذه الرحلة .

ونصح له الأطباء بالراحة التامة فجئنا إلى هذا المنزل الخلوي . وهنا كفت "ماترينا بتروفنا" عن الكلام لأن الغرفة امتلأت بأصوات القهقهة والضحك على أثر نكتة مستملحة فاه بها المستشار "إيفان بتروفتش" . قال "بوريل" محدثا زوجة الجنرال :

- إنهم من أشد الناس مرحا ، رغم علمهم بأن هذا المنزل عرضة للنسف في كل لحظة ، وحانت من الجنرال التفاتة فلاحظ علامات الدهشة المرتسمة على وجه "بوريل" وأدرك معناها فقال له وهو يضحك:

- هل يدعشك ان ترانا نمزح ونمرح يا سيدي المفتش ؟
فأجاب "بوريل" .

- الواقع أن هذا المرح إن دل على شيء فعلى البسالة .
فقال "إيفان بتروفتش" :

- نحن نعتمد في سلامتنا على رعاية الله وحراسته أما رجال البوليس فليست لي بهم ثقة .

فقال الضابط "ميشيل كورساكوف" .

- لقد تجولت في الحديقة قبل الطعام .. فلم أر أثرا لرجال البوليس .. فسالت "ناتاشا" في شيء من القلق :

- أين ذهبوا إذن ؟

فألت "ماترينا بتروفنا" وهي تحاول التظاهر بالهدوء والاطمئنان:

- لقد أمرهم "كوبريان" بالجلء .

فسألها "ميشيل" :

- ألم يستبدلوا بغيرهم ؟

- لا .. وهذا مالاستطيع أن أفهمه .. ولاشك أنه حدث خطأ في تنفيذ أوامر مدير البوليس .

فقال الجنرال :

- إنني في الحق شديد الارتياح إلى رحيلهم .. ويسرني أن يرى منزلي خلوا منهم . ولو يوما واحدا .
وهنا اقترح الضابطان أن يقضيا الليل في المنزل لحراسته بالتناوب..

فصاح الجنرال .

- لا .. لا .. يجب أن يذهب كل منكما إلى مرقده أريد أن أرى منزلي في حالته العادية .. أما رحيل رجال البوليس فإنه إن دل على شيء فعلى أن ثقة "كوبريان" برجال البوليس ليست أعظم من ثقتي بخدمي .. وبعد .. فإن مركز البوليس قريب من هنا .. وفي الاستطاعة أن تستنجد بهم وقت الحاجة .. نعم .. نعم .. لا أريد جواسيس هنا .. ولا أريد حرسا خاصا .. طاب مساؤكم أيها السادة .. عودوا جميعا إلى منازلكم .

وهنا اقتربت "بتروفنا" من زوجها لتدفع مقعده المتحرك فاستطرد الجنرال كأنه يحدث نفسه .

- لا .. لا .. لا أريد هنا أحدا من رجال البوليس .. إن وجودهم يجلب النحس والشؤم . فقالت له زوجته بلهجة العتب .

- "فيودور" .. "فيودور" .. إنهم يسهرون على حياتك العزيزة .. فاجاب الجنرال .

- إنني لا أقيم وزنا للحياة إلا من أجلك يا "ماترينا" .

فهتفت "ناتاشا" .

- وأنا يا أبي !

فقال الجنرال مستدركا :

- ومن أجلك كذلك يا ابنتي وتناول يد زوجته وابنته وقبلهما .

الفصل الثالث

حقائق

مكثت "ماترينا بتروفنا" ساعة او بعض الساعة بالقرب من زوجها حتى إذا سمعت الجنرال يغط في نومه ، نهضت من مقعدها وسارت على اطراف اصابعها حتى بلغت الباب ، فاوصدته وأخذت تطوف بانحاء المنزل باحثة منقبة ..

لم تكن تشعر بمثل القلق الذي شعرت به في الليالي السابقة . ليس فقط لشعورها بوجود "بوريل" على مقربة منها وإنما كذلك لأنها ارتاحت من مراقبة رجال البوليس

نعم . إنها كانت في الليالي السابقة ترقب الأبواب والنوافذ والخدم وزجال البوليس . اما الآن فإنها تخلصت من وجود هذا العنصر الغريب في بيتها ، واصبحت مهمتها محدودة

طافت بغرف المنزل ، واغلقت النوافذ والأبواب ، ووصلت إلى الباب الخارجي ، واطمأنت إلى أنه مغلق .

ولكن ادششها انها لم تر اثر لـ "بوريل" ، فآين ذهب ؟ أين اختفى ؟ وتحولت لتعود ادراجها إلى غرفة زوجها ، ثم أجفلت ، وجمدت في مكانها .

ذلك أنها رأت شبعا ينتصب في الظلام فجأة .

هتفت :

- من هذا ؟

فاجابها صوت طروب :

- انا ..

- مسيو "بوريل" ، يا إلهي ، لقد أزعبتني ، أين كنت أيها الشيطان ؟

- لقد رايتك تغلقين النوافذ والأبواب بعناية .. وهي حيطة تشكرين عليها .

- ولكن أين كنت ؟ إنني فتشت كل ركن في المنزل وبحثت في كل غرفة.

- كنت مختبئاً تحت مائدة الطعام ..

- آه . تحت المائدة ، لقد أمرت الخدم مراراً بالآ يضعوا على الموائد اغطية كبيرة تخفي ما تحتها . ولكن هل رأيت أو سمعت شيئاً وانت في مختبك ؟

- وماذا يستطيع الإنسان أن يراه أو يسمعه في هذا المنزل مادام زوجك قد نام والأنسة "ناتاشا" تستعد للنوم ؟

- هذا صحيح . هذا صحيح .

وتناولت يده . وذهبت به إلى مقعد كبير في الدهليز .

فاجلسته هناك . وجلست بجانبه . وسألته في شيء من القلق :

- وفي الحقيقة ؟ هل رأيت أو سمعت شيئاً هناك ؟

- سمعت الضابط "بوريس" يقول لزميله "ميشيل" وهما ينصرفان .

"الآ تذهب إلى المدينة توا ؟" فاجابه "ميشيل" بالنفي ثم دار بينهما جدل باللغة الروسية لم أفهم منه كلمة واحدة .. ولكني أدركت من صوتهما ولهجتهم أنهما ليسا على وفاق ، وأن كلا منهما لا يحب الآخر .

- نعم إن كلا منهما لا يحب الآخر . وكلاهما يحب "ناتاشا" .

- وإيهما تحبه الأنسة "ناتاشا" ؟ يهمني أن أعرف .

- إنها تزعم أنها تحب "بوريس" .. وفي اعتقادي أنها تحبه ...

ولكني لاحظ أن لها بـ"ميشيل" صلة وثيقة .. فهي التي تبادئه الحديث دائماً ، وذلك مما يثير غيرة "بوريس" وغضبه ..

وقد حظرت "ناتاشا" على "بوريس" أن يطلب يدها .. بحجة أنها لا تريد أن تبتعد عن أبيها في هذه الظروف الدقيقة التي تراه فيها مهدداً بالقتل في أية لحظة ..

- وانت يا سيدتي . هل تحبين ابنة زوجك ؟

فاجابت "ماترينا بتروفنا" بلهجة تنم عن الصراحة والإخلاص

- نعم . إنني أحبها ؟

- وهل تبادلك الأنسة "ناتاشا" هذا الحب ؟

- أعتقد ذلك . نعم . أعتقد أنها تحبني . وليس ثمة ما يدعوها لأن

تضغن علي ، لقد قلت لك منذ البداية إننا نعيش في هذا المنزل في وئام تام ، وقد ازداد هذا الوئام عقب حوادث الاعتداء .

فقاطعها "بوريل" :

- إنك لم تسردي علي ، تفاصيل الحادث الثالث :
فهمت "ماترينا" بان تجيب . ثم امتنعت فجأة . وارهفت أذنيها .
وهمست :
- انصت .

فأصاخ "بوريل" السمع . ولكنه لم يتبين شيئا ..
سألته في همس وذعر :
- ألا تسمع دقات كدقات الساعة .
- لا لست أسمع شيئا .
- أصغ . أصغ جيدا .. دقات كدقات الساعة .
- وكيف تسمعين هذه الدقات .. وقد لاحظت أن جميع الساعات في
هذا المنزل معطلة ؟

- إننا عطلناها .. لكي نتمكن من تمييز دقات الساعات التي تنظم
انفجار القنابل .

لقد أدركت ذلك . ولكني لا أسمع الآن صوت هذه الدقات .
حمدا لله . منذ حادث الاعتداء الثالث وصوت دقات الساعة يدوي
في أذني . إنني أسمعه ليل نهار . وكثيرا ما كنت أسأل رجال البوليس
هل يسمعون هذه الدقات فيجيبوني بالنفي .
أصغ .. أصغ .

فأرهف "بوريل" أذنيه ثم قال .
- إنني أسمع كلاما .. ونحيبا .
- صه . إن الجنرال يهذي .
وذهبت به إلى قاعة الطعام لكي لا يسمع هذيان الجنرال وهناك قالت
له :

- هل يدهشك أننا عطلنا جميع الساعات في المنزل لقد نصح لنا
"كوبريان" بأن نفعل ذلك .. لكي يسهل علينا تمييز صوت القنابل التي
تنفجر بجهاز كجهاز الساعات ..

فقاطعها "بوريل" بقوله :

- سيدتي ... إنني أسمع أننا مزعجا

- لا .. لا تنزعج يا صديقي . إن الجنرال يهذي في نومه كما قلت لك.. إنه لا يغمض له جفن في أثناء الليل إلا إذا تناول بعض العقاقير المخدرة ومتى تناول هذه العقاقير أصابته حمى .. فراح يهذي .
والآن لنعد إلى حديثنا .. سأذكر لك تفاصيل الحادث الثالث .. لتفهم سر انزعاجي من صوت دقات الساعة

- حدث ذات مساء أن قصد زوجي إلى مخدعه مبكرا . فانطلقت بدوري إلى غرفتي وما كاد يستقر بي المقام فيها حتى سمعت دقات كدقات الساعات .

كنت أعلم أن جميع الساعات في المنزل معطلة فاستولت على الذعر واصخت السمع جيدا ... حتى تبين لي أن صوت الدقات صادر من غرفة زوجي ..

أسرعت إلى تلك الغرفة .. فوجدت زوجي مستغرقا في نومه .. وكانت الدقات تدوي في أذني بشدة . ولكن أين مصدرها ؟
أخذت أدور حول نفسي كالمجنونة .. وأنا أتوقع في كل لحظة أن تنفجر الآلة الجهنمية فتهدم المنزل وتمزق أجسادنا القيت بنفسي على الأرض .. واصغيت .. والصقت أذني بفراش زوجي .. وخيل إلي أن الصوت صادر من الموقد .. فوثبت نحوه ودفنت أصابعي في رماده . ولكني لم أجد شيئا ..
وأخيرا خيل إلي أن الصوت صادر من الفراش فرفعت الاغطية . واستيقظ زوجي في هذه اللحظة وصاح بي :

- ماذا أصابك يا "ماترينا" ؟

فصرخت : "أصغ .. أصغ .. الا تسمع هذه الدقات المنتظمة ؟"
واحطته بساعدي .. وحاولت أن أحمله . ولكني كنت في أشد حالات الضعف من تأثير الخوف والفزع . فسقط من بين ساعدي . ولم أجد بوسعي إلا أن أصيح في طلب النجدة
غير أن زوجي دفعني وصاح بي :

- اصمتي .. اصمتي ..

وأصاخ السمع معي . وعندئذ تبيننا مصدر الصوت .
كانت الدقات صادرة من أنية فضية من أواني الأزهار موضوعة على

مائدة قريبة فأسرعت إلى المائدة وتناولت الأنية .. وقذفت بها من النافذة .

وفي تلك اللحظة بذاتها .. انفجرت القنبلة . وأحدث انفجارها دويًا هائلًا .. وتطايرت إحدى الشظايا فأصابت يدي بجرح بليغ .
بيد أننا نجونا . وكانت نجاتنا إحدى المعجزات . نعم . إننا لم نكن قط أقرب إلى الموت مما كنا في تلك الليلة
قالت ذلك ورسمت على وجهها علامة الصليب ثم اضطربت :

- وقد اهتز المنزل من أساسه عندما انفجرت القنبلة . وتحطم زجاج النوافذ جميعًا . ولكننا نجونا
- لا شك أن فزع الأنسة "ناتاشا" كان عظيمًا .

- بالتأكيد يبدو أن "ناتاشا" لم تكن في المنزل في تلك الليلة فقد دعته والدّة "بوريس مورازوف" لتناول العشاء وقضاء الليل في بيتها ولكنها عندما عادت في صباح اليوم التالي علمت بالخطر الذي استهدف له أبوها . ألقت بنفسها بين ساعدي الجنرال وهي ترتجف وأقسمت ألا تبرح المنزل أبداً

وعندما قص عليها أبوها ما فعلته احتضنتني وقبلتني ، وقالت لي إنها ستحبني كما لو كنت أمها .

وقد حاولنا عبثًا في الأيام التالية أن نكشف سر القنبلة الجهنمية وكيف وصلت إلى غرفة الجنرال . ذلك لأن أحداً لم يدخل تلك الغرفة سوى "ناتاشا" وأصدقاء الجنرال الذين رأيتهم عندنا الليلة . أما الخدم فكان محظورًا عليهم الصعود إلى الطابق الأول . وقد وجدنا جميع النوافذ والأبواب مغلقة كالعادة . ولذلك كان من المدهش أن يتمكن إنسان من الوصول إلى غرفة زوجي دون أن يراه رجال البوليس الذين يحرسون المنزل ويبقون في إحدى شرفاته .

وعلى أثر هذه المؤامرة المنكرة زيد عدد رجال البوليس الذين يحرسون المنزل إلى عشرة ، خمسة لحراسة الحديقة والباب الخارجي وخمسة للسهر والمراقبة داخل المنزل .

واتفق ذات ليلة بينما كنت أطوف بغرف المنزل في الظلام أن خرج أحد رجال البوليس من وراء أحد الأبواب فحسبته من الفوضويين

وكدت أحنقه بيدي .

وعقب هذا الحادث تم الاتفاق بيني وبين "كوبريان" على أن يقضي رجاله الليل في شرفة المنزل ، بدلا من أن يكمنوا في داخله . وصدرت إليهم التعليمات بالآي يبرحوا الشرفة إلا إذا سمعوا صوتا مريبا ، صوت استغاثة . .

بيد أنه لم تنقُض بعد ذلك عدة أيام حتى وقع حادث "الأرض" وهو حادث غامض حيرني وأثار فضول "كوبريان" .

- ولكن هل كان رجال البوليس يصعدون إلى الطابق الأول ؟؟

- لا . لقد حظرت عليهم الصعود إلى الطابق الأول بعد حادث باقة الأزهار .

- أرجو أن ترافقيني في الحال إلى غرفة الجنرال ؟

- إلى غرفة الجنرال ؟ ولكنه نائم الآن .. فدعني أقص عليك كيف وقع حادث "الأرض" .

- أرجو أن تذهبي بي في الحال إلى غرفة الجنرال .

قال ذلك وخرج من الغرفة مسرعا . فلم يسعها إلا أن تصعد معه إلى الطابق الأول واقتربت به من الجناح الخاص بها وبزوجها .

فتحت أحد الأبواب .. ووجدت "بوريل" نفسه في مخدع أنيق تنبعث منه رائحة عطرية بديعة .

قالت :

- هذا مخدعي .

ثم اجتازت به دهليزا ، وفتحت باب غرفة الجنرال ودخلت .

لم يتبعها "بوريل" على الأثر ، بل وقف لحظة أمام الباب وراح يتأمله بعين فاحصة .

ثم ألقى ببصره إلى داخل الغرفة ، ولم يتمالك من الارتجاف .

رأى الجنرال ممدا في فراشه ، وقد ألقى الصباح على وجهه الممتنع شعاعا شاحبا أكسب تقاطيعه روعة ورهبة .

كان يخيّل للمناظر إليه أنه أمام جثة أحد جبابرة العصور الوسطى . كانت سحنته منقلبة ، وقد ارتسم عليها الألم والعذاب في أجلى معانيهما .

أخذ يلتقط أنفاسه بصعوبة ، ويحول رأسه على الوسادة ذات اليمين وذات اليسار ، غمغم وهو يلهث :
- وا أسفاه ، لقد هلكت شبيبة موسكو .

قال بصوت محزن يقبض القلب ، صوت إنسان يندب شخصا عزيزا اختطفه الموت قبل الأوان .

كانت هذه العبارة " واسفاه " ، لقد هلكت شبيبة موسكو " هي إحدى العبارات التي ترنمت بها " ناتاشا " بعد العشاء وهي تعزف على البيانو .

كانت إحدى العبارات التي نظمها " ميشيل كورسكوف " في رثاء شباب موسكو الذين هلكوا في الثورة الأخيرة ..

حبس " بوريل " أنفاسه .. وأصغى إلى هذيان الجنرال تتمم هذا الأخير : " أغلقت النوافذ والأبواب . ولطخت الدماء الثلج الناصع الذي يغطي أرض الشارع . فيالها من مذبحة .. يالها من مذبحة .

" لقد هلكت شبيبة موسكو "

وهنا هتفت " ماترينا بتروفنا " :

- " فيودور " .. " فيودور " ..

ففتح الجنرال عينيه . ورأى زوجته . وبدأ عليه كأنه لم يعرفها .

استمر يغمغم : " وا أسفاه . هلكت شبيبة موسكو "

فصاحت زوجته وهي تضع يدها على فمه :

- " فيودور " .. " فيودور " ..

فنظر الجنرال حوله مرة أخرى ثم اعتدل في فراشه ، وغمغم في شيء من الأسف .

- هل كنت أهذي أيضا ؟ ثم نهض واستطرد :

- قبح الله هذا المخدر لن أتناوله بعد الآن . لن أقربه بعد الآن .

ونظر إلى المائدة ، حيث توجد الكأس التي كان يتناول منها جرعة كلما استيقظ في أثناء الليل .

أما " بوريل " .. فإنه ظل كامنا في أحد أركان الغرفة . فلم يره الجنرال .

لن الفضول الذي ساقه إلى تلك الغرفة ، وجعله يرى ذلك المنتظر .

تمدد الجنرال في فراشه مرة أخرى واغمض عينيه فجففت زوجته العرق المتصبب على جبينه . وسحبت الاغطية وخرجت من الغرفة . فوجدت "بوريل" قد سبقها
قالت له في همس :

- هل سمعت ؟ إنه كان يهذي بتلك العبارات المشؤومة التي نظمها "ميشيل" . إنها حفرت في ذهنه . وانطبعت على لسانه .. إنها أهول تكفير عن ذنب لم يقترفه . نعم إنه لم يقترف ذنبا . ولم يفعل شيئا أكثر من أنه قام بواجبه نحو وطنه ، ونحو مولاه القيصر .. بيد أن .. وكفت "ماترينا بتروفنا" عن الكلام .. ذلك لأنها سمعت فجأة صوت وقع أقدام وكان الصوت واضحا جليا .. وقد سمعه "بوريل" بدوره فوقف في مكانه وأخرج مسدسه ، وهمس في أذن "ماترينا" :
- ابق هنا ..

واراد أن يتقدم وحده لملاقاة الخطر المجهول . ولكن "ماترينا" لم تترك له متسعا من الوقت . بل هتفت باللغة الروسية وبصوت ينم عن القلق والخوف :
- من هذا ؟

فاجابها صوت "ناتاشا" الهادئ بكلمات باللغة الروسية لم يفهما "بوريل" .
قالت "ماترينا" بالفرنسية :

- نعم .. نعم . كل شيء على مايرام . طاب مساؤك يا "ناتاشا" .
وهنا سمع "بوريل" وقع أقدام تبتعد ، ثم صوت باب يغلق وساد السكون لحظة . ثم تحركت "ماترينا" فجأة . فهبطت السلم بسرعة ، وقصدت إلى غرفة الطعام . وإضاءة المصباح الكهربائي .. ونظرت إلى المقعد المتحرك الذي اعتاد الجنرال أن يجلس عليه .. ثم تقدمت من هذا المقعد . واجتذبتته من موضعه .. وجثت على ركبتيها . ورفعت السجادة في البقعة التي كان يحتلها المقعد .. ونظرت إلى أرض الغرفة . وتنهدت بارتياح .

سألها "بوريل" .

- ماذا حدث ؟

- لا شيء .
- ولكن لماذا ناديت الأنسة "ناتاشا" حين سمعنا وقع الأقدام ؟
- لأنني عرفت مشيتها .
- ولماذا أسرعت في الحال إلى فحص أرض هذه الغرفة .
- أرجو ألا تؤول أعمالي بغير معناها السطحي إنني أفحص أرض هذه الغرفة كلما استطعت إلى ذلك سبيلا ..
- هل تعتقدين أن الأنسة "ناتاشا" دخلت هذه الغرفة
- لقد قالت لي باللغة الروسية إنها دخلتها .
- ولكن لماذا ؟!
- لتتناول قدحا من الماء . هاهو القدح لايزال على المائدة .
- أصغي إلي يا سيدتي .. يجب أن توضحني لي مالم يذكره "كوبريان" إلا تلميحا .. لماذا اهتمت بفحص أرض هذه الغرفة حالما سمعت صوت وقع الأقدام ؟
- نعم .. أرى من الضروري أن أصارحك بكل شيء .. ما دام من الضروري أن تعرف كل شيء .
- لقد اتفق عقب حادث باقة الزهور أنني سمعت وقع خطوات في الطابق الأول . فهبطت السلم بسرعة كما فعلت الآن ، وفتشت جميع الغرف ولكني .. لم أقع على ما يثير الريبة ..
- كانت جميع النوافذ والأبواب مغلقة كما تركتها . فقصدت إلى غرفة "ناتاشا" لكي أسالها عما إذا كانت قد سمعت صوت وقع الأقدام كما سمعته .
- فتحت باب غرفتها . ودخلت . فوجدتها مستغرقة في نوم عميق.
- لم أشأ أن أزعجها وخطر لي زيادة في الحيلة والحذر أن أفتش الطابق الأول مرة أخرى .. فهبطت السلم . وبحثت في جميع الغرف . إلى أن دخلت هذه الغرفة وعندئذ لاحظت أن طرف السجادة ليس في موضعه كما يجب .. وأن جانبا من السجادة قد تكدس تحت المقعد المتحرك الذي اعتاد الجنرال أن يجلس عليه .. مما دلني على أن المقعد رفع من مكانه ..
- داخمني الشك .. وانتابتني الوسواس . فنقلت المقعد من مكانه ..

ورفعت طرف السجادة . ولم أر في أول الأمر شيئاً ..
ولكنني عندما أمعنت النظر لاحظت أن أحد الألواح الخشبية التي
تغطي أرض الغرفة بارز قليلاً وأن بعض المسامير قد انتزعت منه
حديثاً . فتناولت سكيناً وخطر لي أن أستعين بها لرفع اللوح الخشبي
من مكانه ولكنني وجدت أنه يتعين علي أن أنتزع عدداً آخر من
المسامير .

فكرت في الأمر ملياً .. وسالت نفسي .. ترى هل هناك مؤامرة جديدة
من طراز جديد ؟

وبعد طول التفكير . وجدت أن أفضل ما أستطيع أن أفعله .. هو أن
أترك كل شيء في موضعه .. وأرسل في طلب "كوبريان" .

وهنا قاطعها "بوريل" :

- ألم تحدثني أحداً بامر هذا الاكتشاف .

- كلا ..

- ولا الأنسة "ناتاشا" ؟

- ولا الأنسة "ناتاشا" .

- لماذا ؟

فترددت "ماترينا" لحظة ثم أجابت .

- لم أتحدث إلى "ناتاشا" أو إلى زوجي عن هذا الاكتشاف حتى لا
يزداد قلقهما .

- وماذا قال "كوبريان" ؟

- إنه فحص الأرض معي . ودس يده بمهارة تحت اللوح الخشبي ..
فوجد فجوة صغيرة لاتسع لوضع قنبله من النوع الذي يستعمله
الفوضويون . على أنها كانت قابلة للاتساع . فقال لي "كوبريان" : "إنك
فاجأت الشخص الذي يحفر هذه الفجوة . وكانت المفاجأة في الوقت
المناسب . وهذا الاكتشاف من شأنه أن يجعل لنا السيطرة على الموقف
لأن الشخص الذي يدبر هذه المكيدة الجديدة لا يعلم بأننا كشفنا أمره
فتظاهري بأنك لم تلاحظي شيئاً ، ولا تحدثني عن هذا الاكتشاف إلى
كائن من كان ودعي زوجك يجلس في مقعده في هذا الركن كالمعتاد ، كان
شيئاً لم يحدث .. هذه هي أفضل طريقة لعدم إزعاج الشقي الذي يدبر

هذه المؤامرة الجديدة، ومنذ ذلك الوقت وأنا أرقب تقدم العمل في أرض غرفة الطعام .

وقد حدث بعد ثلاثة أيام من ذلك الاكتشاف أنني كنت في غرفة الجنرال ، فحفزني دافع خفي إلى تفقد اللوح الخشبي في غرفة الطعام . فأسرعت إلى تلك الغرفة ورفعت طرف السجادة . وعندئذ وجدت أن ثلاثة مسامير جديدة قد رفعت من اللوح الخشبي . فدست يدي تحت اللوح . ووجدت الفجوة لاتزال خالية ولا يوجد بها شيء . وهنا كفت "ماترينا" عن الكلام . فسألتها "بوريل" . وماذا حدث بعد ذلك ؟

- حدث بعد ذلك أنني أعدت طرف السجادة والمقعد إلى موضعهما وذهبت أستجوب رجال البوليس الذين كانوا في حراسة المنزل . فقالوا جميعا بلهجة التاكيد إنهم لم يروا أحدا يدخل المنزل أو يخرج منه خلال الأيام الثلاثة الأخيرة .

وارتسمت على وجه المرأة علامات الانزعاج ، فسألتها "بوريل" :
- أريد أن تحدد وجهه نظرك يا سيدتي .. مادام لم يدخل المنزل أو يخرج منه أحد خلال الأيام الثلاثة التي استأنف فيها الشخص المجهول عمله في رفع اللوح الخشبي .. فمعنى ذلك أن أحد أهل المنزل هو الذي انتزع المسامير الثلاثة الأخيرة فهزت "ماترينا" رأسها وقالت :
- لك أن تفهم من كلامي ما شئت ..
- لقد فهمت من كلامك أنه لم يكن في مقدور أحد أن يدخل غرفة الطعام سواك والأنسة "ناتاشا" :

فاطرقت برأسها وقالت بصوت حزين :
- إن هناك بعض أمور لا أريد أن أفكر فيها .. ومتى عانقتني "ناتاشا" استنكرت التفكير في تلك الأمور .

إن مسألة اللوح الخشبي محوطة بالغيوم .. وقد أكد لي "كوبريان" أنه يثق برجال البوليس الذين اختارهم لحراسة المنزل . ولكن عزائي الوحيد هو أن ثقته بأولئك الرجال أقل من ثقتي بـ "ناتاشا" .
قالت ذلك وجففت دمعتين كبيرتين انحدرتا على وجنتيها .

الفصل الرابع

خطة "بوريل" ج

انقضت تلك الليلة بسلام . فلما بزغت شمس اليوم التالي كانت تبدو على وجه "بوريل" و "ماترينا" بتروفاً علامات التعب والإعياء . وقد اجتمعا لأول مرة في ذلك النهار حول مائدة الإفطار حيث كانت "ناتاشا" قد سبقتهما ..

حيتهما "ناتاشا" بابتسامة .. واستفسرت من "بوريل" عن صحته، ثم قالت على الأثر :

- يخيل إلي أن "كوبريان" قد سحب رجاله من هذا المنزل نهائياً ..
فإنني لم أر لهم أثراً اليوم .. ولكنني في الحق أشعر بالارتياح إلى انصرافهم .. لأنني اعتقد أنهم هم الذين دبّروا حادث قنبلة باقة الأزهار .

فقال "بوريل" :

- أنا الذي أبعدهم جميعاً عن هذا المنزل يا أنسة .. لأنني أرى فيهم مثل راك .

فهمت "ناتاشا" :

- أحقا تقول ؟ إذن دعني أطري مهارتك وبعد نظرك .. سوف نكون أصدقاء يا سيدي العزيز طالما تشاطرنني رأيي في هذا الصدد ..

ثم تحولت إلى "ماترينا" واستطردت :

- أوكد لك أن في استطاعتك الآن أن تنامي مطمئنة .. مادام أولئك الاشقياء قد غادروا المنزل ..

فاجابت "ماترينا" ..

- نعم .. سأنام بعد الآن مطمئنة ناعمة البال ..

قبليني يا "ناتاشا" .. إنني أنسى كل شيء حينما تقبليني ..

هل تحبينني كما لو كنت أمك ؟

- نعم .. أحبك كما لو كنت أمي .

- ألا تخفين عني شيئاً أبداً يا "ناتاشا" ؟

- لا .. لن أخفي عنك شيئا أبدا .
- إذن لماذا تعبتين بقلب "بوريس" وترفضين الاقتران به ؟
- لأنني لا أريد أن أبتعد عنك يا أمي العزيزة .
وقبلت "ماترينا" .. وانطلقت من الغرفة وهي تعدو في خفة ورشاقة ..
وهنا هزت "ماترينا" رأسها وقالت :

- إنها فتاة عزيزة .. ولكنها لا تعلم كم تؤلنا تصرفاتها وأراؤها في بعض الأحيان لقد قال زوجي مرة " إنك لا تعرفين يا "ماترينا" كم أنا مشفق على "ناتاشا" .. إن هذه البنية العزيزة توشك أن تذهب ضحية الآراء المتطرفة والأفكار الثورية التي تقع عليها في بعض الكتب الحديثة . نعم . كان من الأفضل لها ولنا لو أنها لم تتعلم القراءة . إنها تعبر في بعض الأحيان عن آراء جديدة لأولئك الفتيات الناثرات اللائي رأيت منهن كثيرات وراء المقاريس التي أقامها الفوضويون في شوارع موسكو .

هذا وزوجي يعتبر "بوريس" مسؤولاً ضمنا عن الآراء والأفكار التي تعبر عنها "ناتاشا" في كثير من الأحيان .
فسالها "بوريل" .

- لقد سمعت "بوريس" يسأل "ميشيل" عما إذا كان في نيته أن يذهب معه إلى المدينة فهل يقطن الاثنان بيتا واحدا ؟
- نعم . إنهما يقطنان منزلا بعيدا يشرف على هذا المنزل وقد عرضا على زوجي أن يقيما خيمة في الحديقة ليكونا بمقربة منا دائما ولكني رفضت لكي أبعدهما عن "ناتاشا" .

وكفت "ماترينا" عن الكلام لأنها أبصرت "ناتاشا" تطل عليهما من النافذة التي تشرف على الحديقة .

كانت تبدو على الفتاة علامات الغبطة والارتياح ...

وقد لمعت عيناها وتوردت وجنتاها ..

قالت تحدث "ماترينا" :

- إنني لم أشعر في حياتي بلذة الحرية كما أشعر بها الآن . لقد كنا مع رجال البوليس في المنزل والحديقة أشبه بالسجناء .. أواه .. كم أود أن أرى وجه "كوبريان" عندما ينبئه رجاله بأنك طردتهم من المنزل ..

فقال لها "بوريل" .

- إذا رايت "كوبريان" فلا تذكرى له أن والدك سيخرج للنزهة بعد ظهر اليوم ، وإلا أرسل إلينا فرقة كاملة من رجال البوليس .
فهتفت "ناتاشا" :

- ابي يخرج للنزهة اليوم ؟ احقا تقول ؟ يالله ..
سوف يسر ابي متى علم بذلك وهنا نهضت "ماترينا" عن مقعدها في جزع وقالت تحدث "بوريل" .

- هل جنتت يا سيدي .. هل جنتت .. كيف .. ؟
فقاطعتها "ناتاشا" :

- لماذا يا اماء ؟ سانطلق في الحال لأنبيء ابي .
فقال "ماترينا" بصوت خشن :

- إن باب غرفته مغلق .

- نعم .. والمفتاح معك .. أنت تسجنينه .. تسجنينه حتى يموت ..
أنت تقتلينه .. نعم .. أنت قاتلته ..

وغاب وجهها من النافذة . وبعد لحظة .. سمع "بوريل" وقع خطواتها وهي تصعد السلم .

وهنا حملقت "ماترينا" إلى وجه "بوريل" الذي ظل يتناول طعامه في هدوء . وهتفت :

- هل أنت جاد فيما تقول يا سيدي ؟ اخرج زوجي للنزهة .. دون حراسة البوليس ؟

هل نسيت أن الثوار يترصدونه ؟ . هل نسيت أننا تسلمنا اليوم بالذات رسالة يهدده فيها الفوضويون بالقتل قبل انقضاء ثمان واربعين ساعة ؟

فقال "بوريل" وهو يرفع قرح القهوة إلى شفتيه :

- ٤٨ ساعة ! ٤٨ ساعة ! إن ذلك في استطاعتهم حقا ، ومهما يكن من أمر فإنني أعلم بأنهم سيقومون بإحدى المحاولات قريبا جدا .
فدعرت "ماترينا" وقالت :

- وكيف علمت بذلك ؟ إنك تتكلم بلهجة التاكيد .
- أصغي إلي يا سيدتي .. يجب أن تنفذ تعليماتي حرفيا .
- ولكن كيف تريد أن أسمح بخروج الجنرال بلا حراسة وكيف تحمل نفسك تبعات هذا العمل الاحمق ومسؤولياته ؟ يا إلهي ، إنني ما زلت ارتجف كلما فكرت في جلاء رجال البوليس . وخلو المنزل من الحراس .. لا ، لا ، إنني وافقت على انصراف رجال البوليس لأنك هنا ولأن "أورميلوف" يستطيع أن يرقب باب المنزل ويفحص كل حزمة وكل علة يؤتى بها إلى المنزل .
- نحن نشعر هنا ببعض الطمانينة . أما في الخارج .
- فقاطعها "بوريل" :
- أصغي إلي يا سيدتي . إنهم سيحاولون قتل زوجك قبل انقضاء ٤٨ ساعة . فهل تريدين أن أنقذه ؟
- فحولت "ماترينا" رأسها وهتفت :
- يا إلهي .. ما أعظم ثقة هذا الرجل بنفسه . ولكن ماذا يقول "كوبريان" الذي حذر علينا مثل هذه النزهة التي تقترحها ؟ نعم .. ماذا يقول ؟
- فلم يعبا "بوريل" باحتجاجها وقال :
- سيخرج الجنرال وسنخرج معه للنزهة بعد ظهر اليوم . وليات معنا من أصدقاء الجنرال من يشاء وليتخلف من يشاء هل فهمت ؟ لماذا ترتجفين ؟
- ولكن من ذا الذي سيقوم بحراسة المنزل ؟
- "أورميلوف" . في استطاعته أن يبقى في المنزل لمراقبة الباب دون أن يراه أحد .
- حسنا .. سأنزل على إرادتك .. ولكن هل يجب أن نعلن سلفا نبا هذه النزهة ؟
- بالتأكيد ، أعلنني هذا النبا وأنت مطمئنة .
- سأعلنه للجنرال وأصدقائه فقط .

- على رسلك ، وبهذه المناسبة ، أرجو ألا تنتظروني وقت الغداء .

فهمت "ماترينا" وهي تلهث :

- ماذا ، هل في نيتك أن تبرح المنزل ؟ لا . لا . إنني أستطيع البقاء هنا بدون رجال البوليس ، ولكني لا أستطيع ذلك بدونك .

قد يقع أي حادث في أثناء غيابك ..

- لا تخافي يا سيدتي . سوف أكون على مقربة منك ولكني لن أتناول طعام الغداء معكم . وإذا سال عني سائل فقولني إن القيصر دعاني لمقابلته .

- لن يصدقني أحد إذا قلت ذلك ، ولكن أين ستكون .

- لا أعلم . ولكني ساكون في المنزل ، على كل حال .

وبعد ساعتين ، وفد على المنزل كل من "بوريس مورازوف" .. و"ميشيل كورساكوف" .. و"إيفان بتروفتش" .. فدعاهم الجنرال جميعا لتناول طعام الغداء على مائدته .

وحوالي الساعة الرابعة ، وهو الموعد الذي حدده "بوريل" للنزهة ، نقل الجنرال إلى العربة الصغيرة المتحركة التي صنعت له بعد إصابة ساقه ، ووقفت "ماترينا" خلف العربة لكي تدفعها أمامها . ولحقت بها "ناتاشا" و"إيفان بتروفتش" والضابطان . وفجأة .. ظهرت على وجه "ماترينا" علامات القلق والتردد ، ولكنها مالبت أن اطمأنت وابتسمت حين رأت "بوريل" يظهر أمامها بغتة .

تبادلا نظرة ذات معنى .. فدفعت "ماترينا" عربة زوجها أمامها ، وسار المستشار و"ناتاشا" بجوار عربة الجنرال وتخلف "بوريل" و"بوريس" و"ميشيل" .

وأخذ هذا الركب الصغير يتقدم في هدوء .. وراح "بوريس" و"ميشيل" يقطعان الوقت في الحديث ، وكان حديثهما يدور حول إخلاص "ماترينا بتروفنا" لزوجها .. وحب "ناتاشا" لأبيها .. وقد استطاع "بوريل" بلباقته أن يستدرجها إلى ذكر بعض حقائق كان يجهلها .

وقد تكلم "بوريس مورازوف" عن سر الحب العظيم المتبادل بين

"ناتاشا" وأبيها .. فقال إن ، والدة "ناتاشا" توفيت بعد أن وضعتها ، فقام الجنرال حيال طفلة بدور الأب والأم معا .. ولما بلغت "ناتاشا" السابعة من عمرها .. عين الجنرال حاكما لولاية "أوريل" .. وهناك تعرف الجنرال إلى أسرة "بيير بتروف" وهو من أغنى تجار الفراء في روسيا .

وكانت لـ "بتروف" هذا ابنة جميلة كالزهرة هي "ماترينا" .. وقد توثقت أواصر الحب بين "ماترينا" و"ناتاشا" . فلما رأى الجنرال ارتياح طفلة إلى صحبة "ماترينا" قرر الاقتران بهذه الأخيرة .. فخطبها إلى أبيها .. ووافق "بتروف" الشيخ بلا تردد .

ولكن حدث قبل الزواج حادث محزن .. إذ خسر "بتروف" كل ثروته في المضاربات .. فقصدت "ماترينا" إلى بيت الجنرال ذات مساء .. وأنباته بهذه النكبة وطلبت إليه فسخ الخطبة لأن مركز أسرتها الحالي لم يعد يتناسب مع مركزه وهو حاكم المقاطعة ومن أغنى أغنياء روسيا.

وكان جواب الجنرال أنه حمل ابنته "ناتاشا" ووضعها بين ساعدي "ماترينا" وقال للطفلة "قبلي أمك الجديدة" ثم قال لـ "ماترينا" "إنني اعتبرك زوجتي يا "ماترينا بتروفا" . فأفهمي أباك ذلك . وقولي له إن كل ثروتي تحت تصرفه ورهن إشارته"

وكان الجنرال يملك ثروة عظيمة ، ومزارع هائلة في "ينجني" ورثها عن أبيه غير أن "بتروف" العجوز وافق على الزواج ورفض رفضا باتا أن يستعين بأموال الجنرال . كذلك رفضت "ماترينا" أن تقبل من الجنرال أية بائنة (دوطة) وقالت له :

"هذه أموال "ناتاشا" .. وقد قبلت أن أكون أما لها ولكني لا أقبل فلسا واحدا من ثروتها ،

وختم "بوريس" حديثه بقوله :

- وهكذا .. إذا توفي الجنرال غدا .. فإن "ماترينا" تصبح صفر اليدين .

- ومعنى هذا ان الجنرال هو كل ثروة 'ماترينا' .

فقال 'ميشيل' وهو يشعل لفافة تبغ :

- وهذا هو السبب في حرصها على حياته .. انظر إليها .. إنها تسهر عليه .. كما لو كان كنزا ..

فقال 'بوريس' بصوت أجش :

- ماذا تعني يا 'ميشيل' ؟ هل تريد ان تقول ان 'ماترينا' لاتخلص لزوجها إلا بدافع الأنانية ! انت إذن لاتفهمها .. ولاتعرفها ..

- أنا لم أقل ذلك يا 'بوريس' .. إنك تنسب إلى معنى لم أقصده .. وفي ذلك مافيه من التكرار لأبسط تقاليد اللياقة .

- حسنا .. سوف نتحدث في ذلك فيما بعد .

- على رسلك ..

وقد تبادل الضابطان هذه العبارات وهما يدخلان في هدوء .. وكان 'بوريل' يسير بينهما فلم ينظر إليهما ولم يلق بالا إلى هذا الخلاف الذي شجر بينهما .. بل كان كل اهتمامه منصرفا إلى 'تاتاشا' التي تختلف عن أبيها .. وحيث الضابطين بإحشاء رأسها، وهمت بالعودة إلى المنزل .

سألتها 'بوريس' :

- إلى أين أنت ذاهبة ؟

فجابت :

- سألق بكم بعد لحظة ، لقد نسيت مظلتني .

فقال 'ميشيل' :

- دعيني أذهب لإحضارها ..

فجابت .

- لا .. لا .. يجب ان أذهب بنفسى لأغراض أخرى . وابتعدت ..

وهنا تبادلت 'ماترينا' و 'بوريل' نظرة ذات معنى .. ولاحظ 'بوريل'

ان وجهها قد امتقع فجأة .. واستأنف الموكب سيره فقال 'بوريل'

محدثا 'بوريس' :

- هل كانت زوجة الجنرال الأولى .. اعني والدة "ناتاشا" .. على شيء من الغنى ؟

فاجاب "بوريس" :

- لا . ولكنها كانت على جانب عظيم من الجمال .. وقد اقترن بها الجنرال لجمالها . بيد انها كانت تنتمي إلى أسرة من أعرق الأسر في القوقاز .. وقد عرفها الجنرال وهو لا يزال ضابطا صغيرا في (تفليس) . فقال "بوريل" في لهجة المفكر :

- صفوة القول .. إنه متى توفي الجنرال .. فإن زوجته التي تملك الآن كل شيء .. تصبح بلا شيء .. وابنته التي لاتملك الآن شيئا .. تصبح صاحبة كل شيء ؟

فاجاب "ميشيل" :

- نعم .

وقال "بوريس" :

- ولكن هذا لا يمنع "ماترينا بتروفنا" و"ناتاشا" من ان تحب كل منهما الأخرى حبا عظيما ..

وواصل المؤكب سيره . والجنرال والمستشار يتبادلان النكات ويسرد كل منهما على الآخر بعض ذكرياته الطريفة المضحكة .

وفجأة سمع "بوريل" وراءه وقع أقدام تقترب بسرعة فنظر خلفه . فرأى "كوبريان" يسرع الخطى وهو يلهث .

كان "كوبريان" رجلا طويل القامة مفتول الساعدين ، ينم مظهره عن القوة ، وقد كان محبوبا في العاصمة لمظهره النبيل وشجاعته .. ولأن أسلوبه في العمل كان يختلف عن أساليب "جونسوفسكي" رئيس البوليس السري الذي اشتهر بمكائده ومؤامراته .. وشاع عنه أنه الذي دبر حادث مصرع رئيس الوزراء السابق في محطة (بيتر هوف) . كانت تبدو على "كوبريان" في ذلك اليوم علامات الضجر والانفعال فشد على يد الجنرال "تريباسوف" .. وشجعه على جراته .. ثم قصد توا إلى "بوريل" .. وانتحى به ناحية وقال له :

- إنك طردت رجالي من منزل الجنرال تريباسوف رغم علمك بأنني لم أسمح قط بذلك .. ورجالي في أشد حالات الغضب لأن عملك قد أثار الريبة حول أمانتهم ويقتلهم .

يجب أن تعلم أن رجالي من طراز آخر غير طراز رجال (جونسوفسكي) وأن في معاملتهم على هذا النحو تخديشا لشعورهم . ولكن لنترك مسألة الشعور جانبا ولننتحدث في عملك ذاته .. فانت قد برهنت على طيش غير محمود العاقبة وأسأت استعمال التصريح الذي أعطيتك إياه بأمر القيصر وقد تحدثت إلى جلاله القيصر في هذا فابدى دهشته . وأمرني بأن أذهب بنفسي إلى منزل الجنرال ، وبأن أعيد الحراس إليه .. ولشد ما كانت دهشتي حين وجدت باب المنزل مفتوحا كأنه طاحونة خربة يستطيع كل إنسان أن يدخلها . ثم كانت دهشتي لا حد لها حين أنباني "أورميلوف" بأنك خرجت مع الجنرال للنزلة .

إنك تعرض الجنرال للخطر ، وتضع حياته تحت رحمة كل عابر سبيل . فاصغ إلي يا مسيو "بوريل" . إنني غير راض عن عملك ، والقيصر غير راض ، وبعد ساعة على الأكثر سأرسل رجالي إلى منزل الجنرال لحراسته .

اصغى "بوريل" إلى حديث "كوبريان" حتى النهاية .. لم يكن قد تعود سماع هذه اللهجة ، ولكنه كظم غيظه وقال في هدوء :

- حسنا .. وأنا سأرحل بقطار المساء .

- ترحل ؟ !

- نعم .. وعليك أن تحرس الجنرال بنفسك .. إنك غير راض والقيصر غير راض .. وذلك مما يدعو إلى الأسف .. بيد أنني أيضا غير راض ، ولم يبق لي إلا أن أقرئك السلام وأرحل ، فقط أرجوك الاتنسى بعد ثلاثة أيام أو أربعة على الأكثر أن تبعث إلي برسالة تحدثني فيها عن صحة الجنرال لكي أصلي من أجله ، وأطلب إلى الله أن يلهم ذويه الصبر والسلوان .

وصمت .. إذ التقت عيناه في تلك اللحظة بعيني "ماترينا بتروفنا"
ورأى في نظرتها من دلائل الحزن والياس ما أشعره بالشفقة عليها .
لم تعد "ناتاشا" .. فترى ماذا كانت الفتاة تعمل في تلك اللحظة؟
وتكلم "كوبريان" .. ولكن "بوريل" كان في شغل عن الإصغاء إليه
بالتفكير في موقف "ماترينا بتروفنا" .

كانت تلك المرأة الباسلة ترتاب في "ناتاشا" وتحبها في الوقت ذاته ..
ولا شك أنها كانت تعاني بهذا الحب المقترن بالريبة الما نفسها عنيقا .
هتف "كوبريان" محدثا "بوريل" :

- ألا تسمعني ؟ الاتصغي إلي ؟ إنني أعذر لك عن اللهجة التي
تحدثت بها إليك وأسالك الصفح .. وأرجوك أن توضح لي سر تصرفك.
إنني واثق بأن لديك من الأسباب ما يبرر هذه التصرفات .. فما هي هذه
الأسباب ؟ يجب أن أعرفها لأذكرها للقيصر ..
أجبنني .. ماذا يجب أن أقول للقيصر ؟
فأجاب "بوريل" :

- لا تقل له شيئا .. ليس عندي ما أقوله لك أو للقيصر أو لأي
إنسان .

أذهب إلى القيصر ، وأبلغه تحيتي واحترامي . وأشر على جواز
سفري لكي أرحل الليلة .
ثم تنهد واستطرد .
- ذلك مما يؤسف له حقا .. فقد دخلت القضية في الذ وامتع
أطوارها ..

فنظر إليه "كوبريان" .. ورأه لا يحول بصره عن "ماترينا بتروفنا" ..
فنظر بدوره إلى هذه الأخيرة وهاله امتقاع وجهها استطرد "بوريل" :
- يوجد شخص واحد سوف يأسف على رحيلي .. وهو هذه السيدة
الباسلة التي وضعت في ثقته .. اطلب إليها أن تختار بيني وبين
جميع رجالك . ولكن دعنا من هذا الآن ، كل ما أرجوه هو الاتنسى أن

تقدم إلى هذه السيدة في الوقت المناسب عزائي الخالص .
وهنا ظهرت على وجه "كوبريان" علامات الانزعاج .. فسعل وقال:

- هل تظن إذن أن هناك خطرا عاجلا يهدد حياة الجنرال ؟
فاجاب "بوريل" :

- إنني لا اظن .. ولكنني واثق . إن مصرعه قريب ولم يبق له في
الحياة إلا ساعات معدودات ، ولكنني سوف لا أنسى قبل رحيلي أن
أهيئته لانتظار الموت ، وأن أطلب إليه أن يستغفر الله عما أتى من
ضروب البطش والقسوة .

- يا مسيو "بوريل" .. هل أفهم من كلامك أنك اكتشفت شيئا ؟
- نعم يا ميسيو "كوبريان" .. إنني اكتشفت شيئا .. بل أشياء .. وإلا
هل تعتقد أنني اجتزت أوروبا كلها من فرنسا إلى روسيا لكي أضيع
وقتي سدى ؟

- هل اكتشفت شيئا لا يعلم به أحد ؟
- نعم يا مسيو "كوبريان" .. إنني اكتشفت شيئا لم أذكره لأحد .. ولم
أسجله في دفتر مذكراتي . لأن الدفتر قد يفقد أو يسرق كما تعلم ..
اليس كذلك ؟ إنني أقول لك هذا حتى لا يضيع رجالك وقتهم عبثا
بتفتيشي عند رحيلي .

- من تظنني يا مسيو "بوريل" ؟
- ذلك هو شأن رجال البوليس في كل زمان ومكان . فإنهم متى
وجدوا إنسانا يعلم عن إحدى القضايا المهمة أكثر مما يعلمون
لا يترددون في اعتقاله ، وإرهاقه بشتى الأساليب والوسائل للوقوف
على معلوماته . بيد أن هذه الأساليب لاتجدي معي فتيلة .. فإنني لن
أتمكن ولن أبوح بشيء حتى ولو ألهمتوني بالسياط .

فقطب "كوبريان" حاجبيه وقال :
- إنك تتحدث إلى رجل شريف يا مسيو "بوريل" .
- حسنا .. ولذلك ساقف منك موقف الرجل الشريف وسأسرد عليك
معلوماتي .

نعم .. لن تمنعني الانانية أو الصلف عن أن أكشف لك ما قد يؤدي
إلى إنقاذ حياة الجنرال .

- تكلم إذن .. إنني مصغ إليك .
- ولكنني اشتطرت متى أفضيت إليك بما أعلم أن ترد لي جواز سفري
وتسمح لي بالرحيل .

فسال "كوبريان" بعد تردد وجيز :
- ألا تستطيع أن تفضي إلي بمعلوماتك وتبقى ؟
- لا ياسيدي .. إنني أفضل الرحيل حالا على أن أجد نفسي مضطرا
إلى إيضاح كل عمل من أعمالي ، وتقديم حساب عن حركاتي وسكناتي .
كان القلق قد اشتد بـ "ماترينا بتروفنا" عندما طال الحديث بين
"بوريل" و "كوبريان" .

فراحت تنقل البصر بينهما .. ولاحظ "كوبريان" من نظراتها إلى
"بوريل" أنها تضع في هذا الفرنسي كل أملها وثقتها ، ثم كأنه أشفق
أن تبهظه المسؤولية التي يريد "بوريل" أن يلقيها على عاتقه ، فشد على
يد هذا الأخير وقال له كلمة واحدة هي : "ابق" ، ثم حيا الجنرال
وزوجته وأصدقائه ، ومضى في سبيله .
وكان الجنرال في هذه الأثناء يسرد على صديقه "إيفان بتروفتش"
بعض الحوادث التي وقعت له في القوقاز .
أما "ناتاشا" فإنها لم تعد .

وكان الليل قد أرخى سدوله ، فعاد القوم أدراجهم إلى المنزل .
وكان أول مافعله الجنرال حين عاد إلى المنزل أنه سال "أورميلوف"
عن "ناتاشا" التي أدهشه تخلفها عن مرافقته في أول نزهة يخرج لها
بعد حادث الاعتداء عليه . فأجاب "أورميلوف" بأن الأنسة عادت إلى
المنزل ومكثت به نحو ربع ساعة ثم انصرفت فسالته "ماترينا" .
- هل جاء أحد آخر ؟

- جاء مدير البوليس وانصرف على الأثر .
وقد تبودلت هذه العبارات باللغة الروسية . فنقلتها "ماترينا" إلى
"بوريل" باللغة الفرنسية . ولاحظ "بوريل" أن السيدة التسعة في أشد
حالات الاضطراب والانعراج .

وتعاون "بوريس" و"ميشيل" على حمل الجنرال إلى غرفة الطعام حيث
طلب هذا الأخير أن يتناول الشاي . وانتهر "بوريل" هذه الفرصة

فاقترب من "ماترينا" وقال لها بسرعة .

- عليك أن تتفقدى أرض غرفة الطعام ، تحت مقعد الجنرال .

فاجابت بصوت محزن :

- حسنا .

- تشجعي يا سيدتي ..

- لماذا لاتاتي معي :

- لأن لدي عملا آخر ، اعطيني مفاتيح الطابق الأول .

- ولكن .. لماذا ؟

- أسرعى .. إن الوقت لايتسع للجدل .

واختطف منها حزمة المفاتيح اختطافا . وصعد السلم وثبا .. ولما وصل إلى الطابق الأول فتح غرفة ماترينا بتروفاً ونفذ منها إلى الرواق . وفتح غرفة الجنرال والقى عليها نظرة سريعة ، ثم أغلقها . وهبط السلم وهو يردد كلمة "حسن جدا" بالروسية ، وهي الكلمة الروسية الوحيدة التي تعلمها حتى ذلك الوقت .

وقضى "بوريل" بقية الوقت في حديقة الجنرال إلى أن لحقت به "ماترينا بتروفا" بعد أن نقل الجنرال إلى غرفته .

قالت له وهي تلقي بيدها على كتفه :

- أيها الشيطان . لماذا لم تفحص أرض غرفة الطعام بنفسك ؟

فاجاب :

- إنني رأيت وجهك فعرفت النتيجة .

- نعم . إن اللوح الخشبي على حاله . ولم تحدث أية محاولة جديدة من جانب أولئك الذين ينبشون أرض الغرفة تحت مقعد الجنرال .. أه .. يا إلهي .. لشد ما كان انزعاجي عندما غادرتنا "ناتاشا" وعادت ادراجها إلى المنزل !! لقد شعرت وقتئذ بدوار .. وخيل إلي أنني لن أستطيع استئناف السير .

الفصل الخامس

اليد الخفية

ماكادت "ماترينا" تصعد إلى غرفة زوجها حتى خرج "بوريل" إلى حديقة المنزل وأجال الطرف في أنحائها باحثا عن الضابطين ولكنه لم يجد لهما أثرا .

بيد أنه تبين في أرض الحديقة آثار أقدامهما فأخذ يتعقب هذه الآثار حتى خرج من المنزل . وعرج شطر الغابة المترامية الواقعة على بعد مائتي متر من بيت الجنرال .

وأدهشه أن يرى آثار الأقدام متجهة نحو الغابة بدلا عن أن تتجه نحو المدينة وكان الليل قد أرخى سدوله فأسرع "بوريل" الخطى حتى وجد نفسه بين الأشجار المتعانقة والأغصان المتشابكة .

أصاخ السمع جيدا .. ولم يسمع في أول الأمر شيئا ، ولكنه لم يكد يتقدم بضع خطوات أخرى حتى طرق أذنيه صوت همس . رفع رأسه ، ورأى شبحين ، استطاع بفضل قوة إبصاره أن يعرفهما .

عرف فيهما "ناتاشا" والضابط "بوريس" .

اقترب خطوة وتوارى خلف إحدى الأشجار ، وأرشف أذنيه .

سمع جدلا عنيفا بين الضابط والفتاة ، ولكنه لم يتبين كلمة واحدة ولم يفهم شيئا لأنهما كانا يتحدثان باللغة الروسية ، كان صوت الضابط ووقفته يدلان على الكبرياء والترفع ، كان منتصب القامة ، ويده معقودتان فوق صدره كمن يتحدى محدته ، ولا يريد النزول إلى مستواه .

تكلمت "ناتاشا" ، وتكلمت بصوت حاد أخذ يخفت بالتدريج حتى تبين فيه "بوريل" لهجة الاستعطاف ، وأخيرا نطقت الفتاة ببضع عبارات باللغة الفرنسية ، كانها خشيت فجأة أن يسمع حديثها أحد . وصمت "بوريس" طويلا كأنه يفكر ، ثم أجاب بصوت واضح

النبرات.

- إنك تطلبين إلي أمرا مخيفا .

فقالت الفتاة بلهجة حازمة :

- ويجب أن تنزل على إرادتي . هل سمعت يا "بوريس" يجب ..
وحولت رأسها ذات اليمين وذات اليسار . ثم ألقت بيدها على كتف
الشاب وقالت بصوت رقيق .

- هل سمعت يا عزيزي "بوريس" ؟

والظاهر أن الفتى لم يستطع المقاومة أكثر من ذلك فأطرق برأسه في
خضوع .

وتناول اليد التي وضعت على كتفه وقبلها باحترام .

قالت "ناتاشا" بذلك الصوت العذب الساحر :

- إذن إلى اللقاء هذا المساء .. نعم .. هذا المساء .

واجتذبت يدها من بين يديه .. وأشارت إليه أن يذهب في سبيله.

وهنا أدرك "بوريل" أن المقابلة قد انتهت ، فتسلل من الغابة وعاد
أدراجه إلى المنزل مسرعا حتى لا تراه "ناتاشا" أو صاحبها ولم يكد
يدخل حتى وجد "ماترينا" تترقب عودته بعد أن أغلقت باب غرفة
زوجها .

سألتها :

- ألا يوجد بالمنزل أحد ؟

- لا .. و"ناتاشا" لم تعد .

- إنها ستعود في التو واللحظة فعليك أن تسأليها أين كانت وهل
قابلت الضابطين ، فإذا قالت إنها قابلتهما فسلها هل يعودان إلى
المنزل الليلة .

فهمت "ماترينا" كأنها تذكرت أمرا .

- الواقع أن الضابطين اختفيا .. ولا أعلم كيف ..

- وبهذه المناسبة أريد أن أرى جميع الدبابيس التي تستعملها
الآنسة "ناتاشا" لتثبيت قبعتها على رأسها .

فظهرت علامات الدهشة على وجه "ماترينا" ولكن "بوريل" صاح بها :

- أسرع قبل أن تعود "ناتاشا" .

فغابت "ماترينا" لحظة . ثم عادت وبين يديها ثلاثة .

- أهذه كل ما هنالك ؟

- هذه كل ما وجدت .. ولكني أعلم أن "ناتاشا" تملك دبوسين آخرين .
ربما كانا في القبعة التي ترتديها الآن .

- حسنا .. أعيدي هذه الدبابيس إلى موضعها .

فاطاعت دون أن تفهم غرضه . ولما عادت سالها :

- وأين دبابيسك ؟

- إنني لأملك غير هذين الدبوسين .

ومدت يدها إلى مقعد كانت قد ألقت عليه قبعتها عقب عودتها من
النزهة . واجتذبت من القبعة دبوسين قدمتهما إلى "بوريل" .
ففحصهما ثم ردهما إليها بسرعة .

وقال :

هذا حسن ، هاهي الأنسة "ناتاشا" .

وبخلت "ناتاشا" وهي باسمة الثغر لامعة العينين وهتفت وهي تخلع
قبعتها :

- بالله .. لقد بحثت عنكم كثيراً فلم أجدكم .. ولعل السبب أنني
أردت أن أصل إليكم من أقرب طريق فضلت السبيل .. هل استراح أبي
إلى هذه النزهة ؟

فاجابت "ماترينا" :

- نعم ، وهو الآن في فراشه . هل قابلت "بوريس" و"ميشيل" ؟

فترددت "ناتاشا" لحظة ، لحظة قصيرة جدا .. وأجابت على الأثر .
نعم ، قابلتهما منذ برهة .

- هل قال لك أن في نيتهما العودة هذا المساء ؟

- لا ، ولكن لماذا هذه الأسئلة ؟

واحمر وجهها قليلا ..

فاجابت "ماترينا" :

- ذلك لأنهما رحلا دون أن ينبأنا .. بل دون أن يقولوا كلمة واحدة .

- هذا غريب حقا .

وقد لزم "بوريل" الصمت أثناء هذا الحديث ، ولكنه لم يحول عينيه

طوال الوقت عن قبعة "ناتاشا" .

انصرفت "ناتاشا" إلى غرفتها . وقصد "بوريل" إلى الغرفة التي أعدتها له "ماترينا" بتروفنا" بالقرب من الجناح الخاص بزوجها . وبعد أن ألقت "ماترينا" نظرة على غرفة زوجها تفقدت النوافذ والأبواب واحكمت إغلاقها ، وعندما همت بدخول غرفتها رأت باب "بوريل" يفتح ، وأبصرت رأسه مطلا منها . قال لها بصوت خافت :
- لقد لاحظت أنك أغلقت باب الردهة ، فأرجو أن تتركه مفتوحا .
فاطاعته .. وعادت إليه لتسأله السبب .

قدم إليها مقعدا أمام فراشه ، وقال لها دون أن ينظر إلى وجهها .
- الاتعلمين أن حادث قنبلة أنية الأزهار قد يتكرر الليلة ؟ فوثبت "ماترينا" عن مقعدها كما لو كانت قد أحست بالقنبلة تحتها . غير أن "بوريل" سدّد إليها نظرة صارمة ، فجلست في الحال وغمغمت بصوت خافت :

- حادث القنبلة قد يتكرر الليلة ؟ ولكني رفعت أواني الأزهار جميعا من غرفة الجنرال .

- يجب أن تخلدي إلى الهدوء والسكينة يا سيدتي .. هل فهمت؟
والآن أجيبني عن أسئلتني في همس .. ودون أن تنظري خلفك .. قلت لي إنك سمعت دقات جهاز القنبلة وأنت في غرفتك ..
- نعم .. وكانت الأبواب مفتوحة ..

- وقلت كذلك إن بعض الأصدقاء زاروا زوجك في تلك الليلة ، فهل سمعت صوت الدقات قبل رحيل أولئك الأصدقاء .
- لا .. لا ..

- هل تعتقدين أنه كان في استطاعتك أن تميزي هذا الصوت أثناء الأحاديث التي دارت بين زوجك وأصدقائه ؟
- بالتأكيد .. بالتأكيد ..

- وهل رافقت أولئك الأصدقاء عند انصرافهم ؟
ولم تسمعي دقات جهاز القنبلة أثناء ذلك ؟
- لا .. بل بقيت مع زوجي حتى غلبه النوم .
- وهل أغلقت جميع أبواب هذا الطابق عقب انصراف أولئك

الأصدقاء ؟

- نعم .. أغلقت باب الطابق ، وأبواب الغرف جميعا أما الباب الموصل إلى سلم الخدم فكان مغلقا من قبل ، ومفتاحه معي ، وهكذا كان من المستحيل على كائن من كان أن يصل إلى غرفة الجنرال دون أن يمر بغرفتي .

- ومعنى ذلك أن أحدا سوا كما - أنت والجنرال لم يكن في استطاعته أن يضع القنبلة في أنية الأزهار .
فذهرت "ماترينا" وهتفت ؟

- ماذا تعني ؟

- أريد أن أبرهن لك ياسيدي على أنه من الخطأ أن يأخذ الإنسان بالظواهر ، لأن الظواهر كثيرا ما تتعارض مع المنطق .
فمن البديهي أن زوجك لم يقصد الانتحار بوضع قنبلة في غرفته ، ومن الظاهر الجلي أنك تحبين زوجك وتفقدينه بحياتك .
فهتفت "ماترينا" بانفعال شديد .

- هذا صحيح ، هذا صحيح . إنني على استعداد لأن افتديه بحياتي.. ولكن لماذا تحدث هكذا دون أن تنظر إلي ، لماذا ؟
- لا تنظري خلفك ، هل سمعت ؟ لاتأتي بأية حركة ، وتكلمي بصوت خافت ، ولا تبكي ، أتوسل إليك .
- إنك قلت منذ لحظة .. أن .. أن حادث القنبلة قد يتكرر الليلة ، فهلم بنا إلى غرفة الجنرال .

فقال "بوريل" وعيناه تنظران إلى شيء وراءها :

- لا .. لا .. لاتتحركي من موضعك ، واصغي إلي ، ولاتقاطعي ، لقد قلت لنفسي : مادام الجنرال لا يفكر في الانتحار ، ومادمت تحبين زوجك ، فلا بد أن يكون هناك شخص ثالث قد وضع القنبلة في أنية الأزهار ، وأن يكون هذا الشخص قد تمكن من دخول غرفة الجنرال رغم أن جميع الأبواب كانت مغلقة .

- لا . لا . من المستحيل أن يتمكن إنسان من دخول غرفته دون أن يمر بغرفتي ، أقسم لك أن ..

ورفعت ساعدها لتقسم . فجذب "بوريل" ساعدها بعنف وهمس :

- قلت لك يجب ألا تقاطعيني .
- ولكن . أنبئني أولا . لماذا تنتظر هكذا ؟
- إنني أنظر إلى المكان الذي يستطيع الإنسان أن ينفذ منه إلى غرفة الجنرال مع وجود الأبواب جميعا مغلقة لاتنتظري خلفك :
- فسالت واسنانها تصطك :
- ولكن أين هذا المكان ؟
- إنه الباب .
- أي باب ؟
- الباب الموصل إلى سلم الخدم .
- ولكنه مغلق . ومفتاحه عندي :
- لقد صنعوا له مفتاحا .
- وكيف نفذوا إلى غرفة الجنرال ؟ .
- إن بغرفة الجنرال بابين ، أحدهما يفصل بينها وبين غرفتك ، والثاني في مواجهة باب سلم الخدم .
- ولكن كيف استطاعوا الدخول من الباب الثاني ؟ ؟ إنه مغلق بالمفتاح والمفتاح بداخل الغرفة .
- إن النصف الأعلى من الباب هو عبارة عن لوح من الزجاج .
- ولكن هذا الباب مغلق من الداخل بالمزلاج .
- إن في الإمكان فتحه .
- هذا مستحيل .
- إن الفوضويين لم يخترعوا حيلة جديدة يا سيدتي ، فطريقة فتح الألواح الزجاجية هي طريقة رابحة في فرنسا ، ويعرفها كل مشغل بسرقة الفنادق . وهي لاتتطلب أكثر من ثقب كثقب الدبوس في مكان بالألواح الخشبية قريب من المزلاج الذي يعلق به اللوح الزجاجي .
- يا إلهي . إنني لا أستطيع أن أفهمك . لأستطيع أن أفهم كيف يمكن فتح الباب من خلال ثقب كثقب الدبوس فقال "بيوريل" دون أن ينظر إليها :
- اصغي إلي يا سيدتي ، إن في إمكان الشخص الذي يريد دخول الغرفة أن يزج في ثقب الدبوس بقطعه ملتوية من السلك .. يجذب

بواسطتها مزلاج اللوح الزجاجي . فيفتح اللوح إلى الداخل، ويمد الشخص يده ويدير المفتاح . فيفتح الباب في الحال .

ففر لون "ماترينا" وهتفت .

- يا إلهي . ولكن ثقب الدبوس ؟

- إنه موجود .

- هل اكتشفته ؟

- نعم منذ اللحظة الأولى .

- أيها الشيطان كيف وفقت إلى اكتشافه في حين أنك لم تدخل غرفة الجنرال غير مرة واحدة . وكان ذلك ليلاً ؟

- إنني صعدت سلم الخدم مرارا قبل ذلك . وسأذكر لك السبب .
عندما دخلت هذا المنزل لأول مرة .. كان أول همي أن أملاً بطني .. بيد أنني لم أضيع وقتي أثناء الطعام عبثاً .. فقد لاحظت على أرض غرفة الطعام أثر حذاء صغير أنيق .

كان قدح من الشراب قد انسكب فوق مائدة الطعام فسال الشراب على السجادة .. فتلوث نعل الحذاء الصغير الأنيق بالشراب . ورايت آثار هذا النعل متجهة شطر الباب المؤدي إلى سلم الخدم .

وكان "كوبريان" قد وصف لي هذا المنزل ، وحدثني عما وقع به، وذكر لي ضمناً أن الخدم لا يصعدون أبداً إلى الطابق الأول لأن الباب الذي في أعلى سلم الخدم مغلق دائماً ولذلك رايتني أن أرى اتجاه تلك الأقدام الصغيرة شطر سلم الخدم .

وعندما هممت بتتبع آثار الأقدام .. فتحت باب الغرفة .. ورايتك أمامي .

- ولكنك لم تصارحني وقتذاك بشيء من هذا ؟

- كان عندي من الأسباب ما يمنعني من مصارحتك .

- إذن هلم بنا الآن إلى غرفة الجنرال .. يجب أن نوقظه من نومه .

- ابقني هنا ابقني هنا .. إنني لم أحدثك بشيء بعد .

- نعم . لم تحدثني عن ثقب الدبوس ، وعن حادث القنبلة الذي سيكرر الليلة .

- سأحدثك بكل شيء .. عندما ذهبت بي إلى غرفة زوجك أمس كان

كل همي أن أفحص وضع اللوح الزجاجي في الباب المواجه لباب سلم
الخدم . وقد استوثقت في الحال بأن القنبلة أدخلت من ذلك الباب .
ومن ذلك الباب ستكرر المحاولة الليلة .

- ولكن كيف ؟ إن ثقب الدبوس الذي تزعم أنك رأيته في الباب قد ذلك
على الطريقة التي أدخلت بها القنبلة إلى غرفة الجنرال . ولكن ما الذي
يدلك على أن هذه المحاولة ستكرر ؟ أنت تعلم أن الشقي أو الأشقياء
يقومون الآن بمحاولة أخرى بعد أن فشلوا في المحاولة الأولى فهم
يسعون إلى وضع قنبلة تحت مقعد الجنرال في غرفة الطعام .

- من المؤكد ياسيديتي أنهم عدلوا عن القيام بالمحاولة الثانية في
غرفة الطعام بدليل أنهم شرعوا يستعدون لدخول مخدع زوجك مرة
أخرى .

وهذا هو السر في أنني أمرت رجال البوليس بالجلاء عن المنزل ..
نعم .. إنني أصدرت إليهم هذا الأمر وأنا مطمئن إلى سهولة مهمتي ..
فقد كانت هذه المهمة مقصورة على مراقبة شيء واحد ، هو ثقب
الدبوس وليس من المتعذر على الإنسان ياسيديتي أن يرقب ثقب دبوس.
فنظرت إليه المرأة بإعجاب وهتفت :

- ولكن حدثني أيها الملاك الحارس .. كيف استطعت أن تفهم من
ثقب الدبوس أن هناك محاولة ثانية لدخول مخدع زوجي من خلال ذلك
الباب ؟

- لا يوجد ثقب واحد ياسيديتي ، بل يوجد ثقبان .

- ثقبان !

- نعم ! أحدهما قديم . والآخر جديد .

ولكن لماذا أحدث الثقب الجديد ؟

- لأنه رأى إن الثقب القديم ضيق ، فأراد بعضهم توسيعه بدبوس
كبير من دبائيس القبعات ، ولكن طرف الدبوس كسر داخل الثقب .

- أه .. فهمت الآن سبب اهتمامك بفحص دبائيس القبعات .. يا
إلهي .. لم أكن أتصور أن في الإمكان دخول الباب من ثقب الدبوس .

فاستطرد "بوريل" :

- وعندما كسر الدبوس سد الثقب الأول .. ولهذا كان من الضروري

إحداث ثقب جديد .. وقد أحدث هذا الثقب الجديد أولا بمطواة . ثم بدبوس قبعة .

- يا إلهي .. إذن فسوف يعيدون الكرة .

- أظن ذلك .

- ولكن هل لك فحص الدبابيس على شيء ؟

- إنني وجدت طرف الدبوس السادس مكسورا .

- الدبوس السادس !!

- نعم .. دبوس قبعة الأنسة "ناتاشا" .

فجمدت "ماترينا" في مكانها وهتفت :

- يا إلهي !!

- ماذا دهاك ؟ ! إنني فحصت دبابيسك ، كما فحصت دبابيسها ،

فهل تعتقدين أنني كنت أرتاب فيك لو أنني وجدت أحد دبابيسك

مكسورا ! لا .. كان ذهني ينصرف في الحال إلى أن بعضهم قد

استخدم دبوسك في أغراضه المنكرة .

- هذا صحيح . هذا صحيح . أرجو المعذرة . إنك حيرت عقلي، إنك

تجعلني أعتقد في شيء . ثم تعود فتزعزع اعتقادي .. إنك شيطان

رجيم .

وتناولت رأسه بين يديها ، وقبلت جبهته . ولكن "بوريل" رفع يديها

بعنف وخشونة . وغمغم :

- إنك تمنعينني من أن أرى ..

فلم تزعجها خشونته ، لأنها أدركت سببها وفهمت لماذا كان يتحدث

طول الوقت دون أن ينظر إليها .

كان ينظر إلى ماوراءها . إلى باب غرفة الجنرال .

نهض "بوريل" واقفا . وسار على أطراف أصابعه حتى دخل غرفة

الجنرال .

كان الرجل نائما نوما هادئا ، لايعتريه شيء من الأحلام المضطربة

التي أزعجته في الليلة السابقة . ولعل "ماترينا" كانت على حق حين

أسندت هذه الأحلام المزعجة إلى العقاقير المخدرة التي اعتاد الجنرال

أن يصارع بها الأرق والسهاد . ذلك لأنه لم يتناول شيئا من هذه

العقاقير في تلك الليلة . بل كان القدر على مقربة منه . وهو مليء
بالسائل المخدر حتى الحافة .

لقى "بوريل" نظرة سريعة على الباب الجانبي المقابل لباب سلم
الخدم ، ثم عاد إلى غرفته .. وتمدد في فراشه . سألته "ماترينا" :
- هل تنام ؟

- لا .. ولكنني سأطفيء المصباح ..

- إذن دعنا نتناوب الحراسة .

بيد أن أحدا منهما لم يغمض له جفن .. ظلت عيونهما تنظر من
خلال الأبواب إلى فراش الجنرال ومرت الساعات ببطء وثقل ، وخيل
لـ "ماترينا" أن المحاولة التي تكلم عنها "بوريل" لن تحدث في تلك الليلة .
أما "بوريل" .. فكان يعتقد أن المحاولة لن تقع قبل بزوغ الفجر ، حين
تكون للنوم الغلبة على اليقظة . ولكنه مع ذلك لم يحرك ساكنا .
ظل جامدا في مكانه كالصنم .

وانقضت ساعات وساعات .

وفجأة ، أحس بيد "ماترينا" توضع على يده فحبس أصابعها بين
يديه بقوة . وفهمت أنه يريد لها على أن تلزم الصمت والسكون .
أرهف كلاهما السمع ، وانصتا . وأشراب عنقاها نعم ، نعم ،
كانت هناك حركة غير عادية .

سمعا صوت مفتاح يتحرك في القفل بهدوء .. وساد السكون ..
واستمر هذا السكون دقيقة كانت أطول من قرن .. ثم شاهد الباب
الجانبي في غرفة الجنرال يفتح ببطء شديد ..
وبرز منه ذراع يمتد ، ويمتد .

كان في قبضة اليد التي امتدت شيء لامع وشعر "بوريل" بأن
"ماترينا" تنأب للوثوب .. فأحاطها بساعديه .. ومنعها من الحركة ..
تملكه خوف شديد من أن يسمعها تصرخ مذعورة مستغيثة بينما
تلك اليد تمتد نحو فراش الجنرال ..

الفصل السادس

القنينة

كانت اليد الخفية ممسكة بقنينة ، وتالقت القنينة في ضوء المصباح الكهربائي .

امتدت اليد حتى وصلت إلى الطاولة الموضوعة بالقرب من الفراش ، ارتفعت فوق القدرح المليء بالعقاقير المخدرة ، وسكبت فيه محتويات القنينة .

وانسحبت اليد في خفة ولباقة كما امتدت ، وسمع "بوريل" و"ماترينا" حركة المفتاح في قفل الباب ، ثم ساد السكون وعندئذ وثب "بوريل" من فراشه بعد أن أمر "ماترينا" بأن تلزم الصمت ، ثم مرق كالسهم ، ووصل إلى باب سلم الخدم بأسرع من لمح البصر ، ولكنه وجد ذلك الباب مغلقا .

عاد إلى "ماترينا" وهو يلعن ويصخب ، واختطف منها حزمة المفاتيح . وفتح الباب ، وهبط سلم الخدم مسرعا ، ولكنه لم ير أحدا .. صعد السلم الكبير على عجل ، وماكاد يصل إلى الطابق الأول حتى سمع حركة باب يغلق .

كان الباب الوحيد المغلق في تلك اللحظة هو باب غرفة "ناتاشا" ووقف بذلك الباب وقلبه يركض بشدة ، وأصاخ السمع ولكنه لم يسمع شيئا .

انتظر .. وانتظر .. وأصغى ، ولكن الهدوء التام كان يسود الغرفة التي كانت ترقد فيها الفتاة .

هبط إلى الطابق الأول . وغاب هناك بضع دقائق .. ثم صعد السلم الكبير مرة أخرى . ولما وصل إلى قمته رأى "ماترينا" بتروفنا" في انتظاره ، وهي شاحبة كالأموات .
سألته :

- أين اختفى : أين ؟

فأجاب بصوت خافت .. اضطرت معه "ماترينا" بتروفنا" أن تقترب

خطوة أخرى لكي تسمعه :

- إنني بحثت في كل مكان ، ولكنني لم أجد أحداً .. فحملت إلى عينيها كأنها تريد أن تتغلغل إلى أعماق نفسه ، وتقرأ أفكاره . ثم أشارت بأصبع نحو غرفة "ناتاشا" وقالت :

- هل دخلت هذه الغرفة ؟

- هذه الغرفة يجب عدم دخولها .

فقال وهي تصر بأسنانها :

- سادخلها .

ولكنه وقف في طريقها . وبسط ساعديه ليمنعها من المرور ، وهتف :

- لا تتقدمي خطوة أخرى إذا شئت إلا تقعي هنا فاجعة .

- ولكن ذلك الشخص موجود الآن في هذه الغرفة .. إنه هنا .

فهز رأسه وقال :

- يحتمل ألا يكون هنا .

- إنه هنا ، مادمت لم تقعي على أثره في أي مكان آخر .

- لا .. لا .. يحتمل أن يكون قد خرج .

- أيحتمل أن يكون قد خرج ، وجميع النوافذ والأبواب مغلقة ؟

- لقد رأيت بعيني رأسك أن ثقب الدبوس يكفي لمرور الإنسان .

فعضت على شفتها وأطرقت برأسها .

كانت تريد دخول غرفة "ناتاشا" مهما كلفها ذلك .

قال لها :

- إذا دخلت هذه الغرفة ، ولم تجدي بها من تبحثين عنه ، ضاع كل

أمل في كشف الحقيقة ، ويتعين علي أن أنفض يدي من هذه القضية ،

هل فهمت ؟

فتهاكت المرأة التعسة في أحد المقاعد ودفنت رأسها بين كفيها .

قال بصوت خافت :

- لا معنى لليأس والحزن ، إننا لا نستطيع حتى الآن أن نقطع الشك

باليقين في أمر "ناتاشا" .

فهزت رأسها وقالت :

- نحن نعلم أنه لا يوجد هنا سواها . لأن أحدا لم يدخل المنزل أو

يخرج منه .

- اكرر لك القول إننا لانستطيع أن نجزم بأن الشخص الذي راينا
يده لم يخرج من المنزل .

- هذا هو الجنون عينه كيف يستطيع الخروج ؟

- لنبحث في الخارج .. كما بحثنا في الداخل .

قال ذلك وهبط السلم من جديد ، وفتح باب غرفة الطعام بهدوء ، ثم
فتح إحدى النوافذ المطلة على الحديقة ووثب منها .
ورافقته "ماترينا" حتى النافذة ، فقال في همس :
-عليك بمراقبة "ناتاشا" .

وكان نور الصباح قد بزغ ، فآخذ "بوريل" يسير في الحديقة لصق
جدار المنزل بحذر شديد ، وقضت "ماترينا" بضع دقائق امام النافذة
وراحت ترقبه ، فرائه يفحص النوافذ من الخارج وانابيب الماء ،
واعشاب الحديقة ، ثم بصرت به وهو ينصرف من الباب الخارجي ،
ويبتعد . فغادرت النافذة ، ووقفت في بهو الطابق الاول والقت نظرة
على باب "ناتاشا" فالفته لايزال مغلقا .

عادت ادراجها إلى النافذة المطلة على الحديقة .. ورات ان "بوريل" قد
وصل إلى ضفة نهر "نيفا" .. ووقف ينظر إلى الضفة الأخرى حيث
يقوم المنزل الذي يقيم فيه الضابطان "بوريس" و"ميشيل" .
وقضى "بوريل" بعض الوقت وهو يتأمل ذلك المنزل على مبعده .. ثم
جلس على إحدى الصخور .. ودفن رأسه بين يديه .

وبعد لحظة .. بصرت به "ماترينا" وهو ينهض واقفا .. ويخلع ثيابه
بسرعة .. ثم إنه يغوص في ماء النهر ويسبح شطر منزل الضابطين .
ولما غاب عن بصرها .. عادت ادراجها إلى حيث توجد غرفة "ناتاشا" .
فجئت أمام الباب .. ثم انبطحت على الأرض واصاحت السمع .
كان مجرد التفكير في جريمة "ناتاشا" يكاد يخرجها عن عقلها يا
إلهي .. أيمن هذا!!!

كانت تريد أن تبكي .. وتبكي بصوت مرتفع .. وتدعو "ناتاشا" .
وتسالها .. وتضرع إليها أن تقول الحقيقة .
ومر بها وقت طويل .. منبطحة على الأرض .. مضغضة الحواس ..

أشبهه ما تكون بالحيوان الجريح .

ثم أشفقت أخيرا أن يفاجئها "بوريل" وهي في ذلك الموضع ،
فنهضت واقفة ، وهبطت السلم ، وقصدت إلى غرفة الطعام .. والصقت
جبهتها الملتهبة بزجاج النافذة المثلج .. وراحت ترقب عودة "بوريل" .
وفجأة .. أحست بيد توضع على كتفها .. فنظرت خلفها في زعر
وجزع .. ورات "بوريل" واقفا خلفها .
قال لها بصوت خافت :

- ماذا تفعلين هنا ياسيديتي ؟ إن العمل معك يكاد يكون مستحيلا ،
ولا شك أن الأنسة "ناتاشا" قد سمعت حركاتك ووقع خطواتك .. ومن
حسن الحظ أنها اعتادت أن تسمع الجلبة التي تحدثينها كل ليلة
وأنت تبحثين هنا .. وهناك .. وتفتشين كل غرفة عشرات المرات .
فاجابت المرأة بصوت حزين :

- أؤكد لك أنني لم أحدث أية ضجة تزعجها .
- مهما يكن من أمر فيجب الاتعلم "ناتاشا" بشيء مما حدث الليلة ..
هل فهمت ؟

ومتى وقع بصرك عليها في الصباح فقبلتها كالعادة . فهتفت
"ماترينا" وقد اقصعرت بدنها :
- أقبلها ؟ هذا مستحيل هذا مالا أستطيعه .
- ولماذا ؟

فلم تجب .. وبكت .. فقال لها في لطف :
- اطمئني .. ولاتفقدى الأمل .. إن بعضهم قد خرج من منزل
الضابطين الليلة فرفعت رأسها .. ولمعت عيناها وهتفت :
- يا إلهي .. كيف علمت ذلك ؟
- مادمننا لم نجد أثرا داخل المنزل فقد كان من البديهي أن نقع على
أثار خارجه ..

- وهل وجدت شيئا ؟
- نعم ..
- بارك الله فيك أيها الملاك ..
- لقد وصلت إلى حديقة المنزل الذي يقيم فيه الضابطان .. ورايت

أغصانا تحطمت حديثا .. وأثار أقدام على الثلج الذي يغطي أرض
الحديقة .

- هل تعني أن أحدهما جاء الليلة إلى هذا المنزل ؟
فصمت "بوريل" ولم يجب .

- أيهما ؟ .. "بوريس" ؟

- لقد خرج إنسان من منزل الضابطين ، ودخل هذا المنزل ، ثم عاد
أدراجه .. ولكني لا أعلم من الذي فعل ذلك .. أهو "بوريس" .. أم شخص
آخر .

وقد استخدم الشخص في قدومه قاربا عبر به النهر ولكنه اجتاز
النهر سباحة في عودته .

فاضطربت "ماترينا" ظهرا لبطن . وسالت بحدة :

- هل أنت واثق بأن ذلك الشخص قد دخل هذا المنزل وخرج منه ؟

- نعم .. إنني واثق بذلك .

- وكيف دخل وخرج ؟

- من نافذة الغرفة الصغيرة المجاورة لغرفة الأنسة "ناتاشا" :

- هذا مستحيل .. فقد وجدنا هذه النافذة مغلقة !

- بل ذلك ممكن .. مادام في الاستطاعة إغلاق النافذة بعد فرار
الشخص منها .

- آه ..

ثم استطردت وهي تصر بأسنانها .

- لماذا منعني من أن أقي بنفسي عليه عندما مد يده وسكب .

السائل في القدر ؟

لو لم تمنعني .. لقبضت عليه .. وعرفنا الحقيقة .

- لا .. لقد كان .. في استطاعته بحركة بسيطة أن يغلق الباب ويفر

قبل أن تصلي إليه .. ويكون قد علم أننا نترصده فتضيع جهودنا
سدى .

- ولماذا لم نترصده في الحديقة .. أو أمام باب الغرفة الصغيرة

الملحقة بغرفة "ناتاشا" ..

- لو أنني فعلت هذا لما جاء ذلك الشخص على الإطلاق إنه لم يات إلا

لأنه لم يجد من يترصده بباب الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة "ناتاشا".
- يا إلهي .. ماذا تعتقد إذن ؟ إنني لا أستطيع أن أفهم شيئاً .. إن ذهني مضطرب .. فأوضح لي كل شيء ، لأنك تعلم كل شيء .. تكلم ..
أريد أن أعرف الحقيقة أريد أن أقطع الشك باليقين هل الشخص الذي جاء الليلة ينتمي كذلك إلى الجمعيات الفوضوية التي قررت إعدام زوجي ؟

فأجاب "بوريل" بهدوء :

- لو اقتصر الأمر على الجمعيات الفوضوية وحدها لكان هيناً .
- يالله ! .. إنني أكاد أجن ، ماذا تعني بقولك "لو اقتصر الأمر على الفوضويين لكان هيناً" ؟

فلم يجب "بوريل" عن هذا السؤال بل قال :

- ماذا فعلت بالقدح الذي يحتوي السائل المخدر .
- القدح ؟ جسم الجريمة إنني احتفظت به في غرفتي .
- حسناً ، أرجو أن تسكبي محتوياته في زجاجة خاصة وأن تملئيه بسائل نقي ثم تعيديه إلى موضعه بالقرب من الفراش .
- الحق معك . إنك تفكر في كل شيء ، سارد القدح إلى موضعه حتى إذا استيقظ الجنرال أمكنه أن يتجرع السائل كالمعتاد دون أن يتطرق إليه شك .

- ولكن يجب ألا يجرع محتويات القدح .

- إذن لماذا أملؤه ، وأضعه بالقرب من فراشه ؟

- يجب أن يعلم الشخص الذي يهمله تسميم الجنرال أن هذا الأخير إذا لم يكن قد احتسى السائل المخدر فليس ذلك إلا لأنه لم يرغب في احتساؤه وأن المصادفة وحدها هي التي أنقذته من الموت . هل فهمت ؟
- نعم ، نعم ولكن إذا حدث أن استيقظ الجنرال وأراد أن يحتسي جرعة من السائل المخدر ؟

- قللي له إنني أحظر عليه ذلك .. وعليك متى استيقظ الجنرال أن تسكبي محتويات الكأس علانية بدعوى عدم صلاحية السائل حتى يعلم المجرم أو المجرمون لماذا لم يميت الجنرال . ولماذا لا يزال يستمتع بصحة جيدة .

- نعم . هذا رأي سيد . وماذا اصنع بالسائل الذي مزج بالسم ؟
- انتيني به .

فاسرعت "ماترينا" إلى غرفتها وعادت بعد خمس دقائق تقريبا .
قالت :

- إن الجنرال نائم . وقد وضعت القدح على مقربة من فراشه !
حسنا فعلت .. والآن .. أغلقي باب هذه الغرفة . إذ يجب أن نتحدث
مليا .

- ولكن إذا حدثت محاولة أخرى ونحن هنا ؟
- اطمئني ياسيديتي ، فإنهم يعتقدون الآن أن الجنرال مات مسموما .
لعل هذه هي الفترة الوحيدة التي تستطيعين فيها أن تنامي
مطمئنة .

- إنك تعبت بعقلي أيها الشيطان .. فتارة تجعلني أعتقد أن المجرم
بين ظهراني .. وتارة تقنعني بأنه ليس من أهل هذا المنزل .. حتى
ليخيل إلي أنك تعرف السر ولا تخفى عليك خافية .. ولكن حدثني ..
كيف يجب أن يكون موقعي من "ناتاشا" .
- لاشيء !

- كيف ؟

- علينا فقط أن نراقبها .

نعم . نعم .

اتركي لي مهمة مراقبتها .

- حسنا ، أعدك بذلك ، فافعل ماشئت ، ولكن حدثني في صراحة ،
لماذا قلت لي منذ لحظة إنه لو اقتصر الأمر على الفوضويين لكان
هيئا ؟ ! هل تعتقد إذن أنها ليست من شركاء الفوضويين ؟ . إن لها
آراء شديدة التطرف .

- اصغي إلي ياسيديتي . إنك لاترتابين في غير "ناتاشا" وقد وعدت
منذ لحظة بأن تترك لي مهمة مراقبتها فعديني بالا ترتابي فيها .

- ولكن لماذا قلت إن الأمر يكون هيئا لو اقتصر على الفوضويين ؟

- إنني قلت ذلك ياسيديتي العزيزة لأنه إذا لم يكن لغير الفوضويين
أصعب في هذه القضية لهان الأمر كثيرا .. وإلا فهل تعتقدين يا سيدتي

أن الفوضوي الحقيقي ، الفوضوي الجدير ، بهذا الوصف ، يهيمه في شيء أن تنفجر قنبلته في أنية الأزهار .

بدلاً من أن تنفجر في أي مكان آخر مادام مقدراً لها على كل حال أن تفتك بالجنرال .

ماذا يهيمه إذا انفجرت القنبلة داخل غرفة الجنرال أو خارجها . ولماذا يضيع وقته مثلاً في رفع الواح الخشب من غرفة الطعام لكي يخبىء تحتها إحدى القنابل ، بدلاً من أن يلقي القنبلة في الغرفة كيفما اتفق فتنفجر ، وتنسف الجنرال وجميع سكان المنزل .

هل تعتقدين يا سيدتي أن الفوضوي الذي يريد أن يثار لشبيبة موسكو ويستطيع أن يصل إلى باب غرفة الجنرال هو من البلاهة والغباء بحيث يضيع وقته عبثاً بثقب الباب بدبوس قبعته بدلاً من أن يلقي على باب الغرفة أضخم قنبلة يستطيع أن يحملها دون أن يهيمه أن تمزق القنبلة جسمه قبل أن تمزق جسم الجنرال ؟

هكذا يفعل الفوضوي الحقيقي يا سيدتي ، يلقي قنبلته أو يطلق مسدسه . ولا يهيمه أن يهلك ، أو يقبض عليه أما غريماً فإنه يلجأ إلى أساليب لصووص الفنادق . لماذا ؟ لأنه لا يريد أن يراه أحد . ولا يريد أن يضبط متلبساً بالجريمة .

وهو لذلك يلزم جانب الحذر التام . ويلجأ إلى الوسائل البطيئة .. يلجأ إلى السم وإلى القنابل التي تنفجر في موعد محدد .

- ولكن هل في استطاعة هذا الغريم الذي تتحدث عنه أن يجول في هذا المنزل ليل نهار كما يريد ؟ أجبني .. هل تعرف هذا الغريم ؟

- ربما .. ولكن يجب أن اتأكد .

- بالله .. كم أنت جامد العاطفة بطيء الشعور .. ألا تشعر بالفضول إلى معرفة هذا الشقي بأسرع ما يمكن ؟ إنه من أصدقاء الأسرة بغير شك وفي استطاعته أن يدخل المنزل ليلاً كما يشاء .. لأن بالمنزل من يفتح له نافذة الغرفة الصغيرة الملاصقة لغرفة "ناتاشا" .

وهو يأتي من المنزل الذي يقيم فيه "بوريس" و"ميشيل" .. يا إلهي .. إذن فهو أحد هذين الرجلين . إنه "بوريس" أو "ميشيل" . رباه . لم لا يقتلاني ويريحانني من هذا الشقاء .

هل سمعت قبلا بمثل هذا يا سيدي .. جنديان يتسللان ليلا إلى منزل قائدهما ليفتكا به .. ليفتكا به بمساعدة ابنته إنني لا أستطيع أن أصدق حواسي أن اتهم "بوريس" أو "ميشيل" أو "ناتاشا" .. إن جميع حواسي ترفض اتهامهم ولكن بم تفسر الظواهر والشواهد العديدة التي وقعت عليها .

تكلم أجبني .. ألا تستطيع أن تتصور هول الزوبعة التي تعصف في مجتمعتي .. ؟

ألا تستطيع أن تتصور النضال الهائل القائم في أعماق نفسي ؟
فقال "بوريل" في هدوء .

- من الحكمة ألا تتهمى أحدا أو ترتابي في أحد .. وبحسبك أن ترى وأن تلاحظي وتنتظري .

المهم الآن أن نعرف نوع السائل الذي سكب في كأس الجنرال .. ما هذا السائل ؟

فقدمت إليه قنينة صغيرة دسها في جيبه ونهض وهو يقول :
- سأذهب الآن لتحليل هذا السائل ومعرفة نوعه وساعود بعد ساعتين على الأكثر . ولكن من المهم ألا يعرف الجنرال شيئا .
- اطمئن .. وارجو أن تعود سريعا .. فقد أصبحت لا أستطيع الإقامة هنا بدونك .

وانصرف "بوريل" . وصعدت "ماترينا" إلى غرفة الجنرال وبعد ساعتين عاد "بوريل" . فوجد "ماترينا" تنتظره وهي على أحر من الجمر .
أسرعت لاستقباله . فقال لها همسا :

- يجب أن تلزمي الهدوء . هل تعلمين ماذا كان في القنينة التي سكبت محتوياتها في كأس الجنرال ؟

- لا . ماذا كان فيها ؟

- كان فيها كمية من محلول الزرنيخ تكفي لقتل عشرة رجال .

- يا إلهي .

- اصمتي . وهلمي بنا إلى غرفة الجنرال .

أصبح الجنرال في حالة نفسية حسنة . فقد تذوق في تلك الليلة طعم النوم الهادئ لأول مرة منذ مذبحه موسكو وقد علل ذلك

بامتناعه عن تناول السائل المخدر . فشجعه "بوريل" على مقاطعة السوائل المخدرة . ودار الحديث بين الثلاثة حول أمور شتى إلى أن أقبلت "ناتاشا" للاستفسار عن صحة أبيها .

كانت شاحبة اللون تبدو عليها علامات التعب والإجهاد وتدل سحنتها على أنها لم تستمتع في تلك الليلة بنوم هادئ وقد لاحظ الجنرال ذلك . فقالت :

- الواقع إنني قضيت ليلة مليئة بالأحلام المزعجة ولكن انت يا ابي هل نمت نوما هادئا ؟ وهل تناولت السائل المخدر ؟

- لا .. لا .. إنني لم أتناول منه نقطة واحدة .

- حسنا فعلت .. حسنا فعلت . ليس هناك ما هو الذ وامتع من النوم الطبيعي .

وهنا نظر "بوريل" إلى "ماترينا" نظرة فهمت معناها . فتناولت القدر المليء بالسائل المخدر . وخرجت به من الغرفة وسكبت محتوياته . وتريثت قليلا لتسيطر على شعورها وتهدئ من اضطرابها . قالت "ناتاشا" :

- سوف ترى يا ابي أن الحياة في هذا المنزل ستسير في مجراها الطبيعي بعد جلاء رجال البوليس .. اليس كذلك يا مسيو "بوريل" ؟
- بلى ذلك رايب أيضا يا أنسة .. ففي استطاعتكم الآن أن تعيشوا في سلام .. وفي اعتقادي أنه لم يعد ثمة خطر .. وبهذه المناسبة يجب أن أنتهز الفرصة قبل رحيلي لأشكركم على حسن ضيافتكم . فهتفت "ناتاشا" .

- هل في نيتك أن ترحل يا مسيو "بوريل" .
وعادت "ماترينا" في هذه اللحظة .. وسمعت عبارة "ناتاشا" وفتحت فمها لتحتج على رحيل "بوريل" . ولكن هذا الأخير أسكتها بنظرة وقال على الفور :

- في نيتي أن أقضي أسبوعا في المدينة . وقد احتجزت غرفة في أحد الفنادق لأتمكن من مقابلة بعض الأصدقاء والزائرين .. ولكن سائررد عليكم من وقت لآخر فقال الجنرال بصوت رزين .
- هل أفهم من عزمك على الرحيل أنه لم يعد ثمة خطر ؟

- لا خطر على الإطلاق ..

وما كاد "بوريل" يبتعد عن بيت الجنرال بضع مئات من الأمتار.. حتى لحق به "أورميلوف" وهو يلهث .. وقدم إليه رسالة حملها بريد الصباح .

ألقى "بوريل" نظرة على غلاف الرسالة ، فوجد اسمه "مسيو جوستاف بوريل" مكتوبا باللغة الفرنسية بخط لا يعرف صاحبه . ففرض الرسالة . وقرأ فيها ما يلي :

"المرجو من مسيو "أرسين لوبين" ألا يهتم بأمور لا شأن له بها . هذا هو الإنذار الأول والآخر" .

وكان الخطاب غفلا من الإمضاء .. فقطب "بوريل" حاجبيه ثم ابتسم وفس الرسالة في جيبه وهو يغمغم :

- من حسن الحظ أنني نفضت يدي من هذه القضية . وانتهى دوري فيها أما ما بقي فمن شأن "كوبريان" .. فلنذهب إليه .

الفصل السابع

حياة بحياة

تهالك "بوريل" على مقعد وثير في مكتب مدير بوليس موسكو ..
وراح يصعد هذا الأخير بعينه وهو يوصد بابه بعناية ..
قال "كوبريان" وهو يعود إلى مقعده .

- الآن نستطيع أن نتكلم دون أن يزعجنا احد فقال "بوريل" في هدوء:
لقد جئتكم يا مسيو "كوبريان" لكي أقدم لك حسابا عن مهمتي وأترك
لك عملية التصفية النهائية .. وستكون مهمة التصفية النهائية
قاصرة على إلقاء القبض على المجرم الذي لأريد أن أعرفه أو أعرف
اسمه .

ويجب بهذه المناسبة أن أقول لك إنهم حاولوا ليلة أمس تسميم
الجنرال "ترياسوف" بوضع محلول الزرنيخ في قذح السائل المخدر
الذي اعتاد الجنرال أن يتناوله ليلا لمقاومة الأرق .
فغمغم "كوبريان" .

- آه .. ألم أقل لك إن المسألة عائلية بحتة ؟ !
- إن المسألة ليست عائلية بحتة كما تعتقد يا مسيو "كوبريان" .. لأن
الشخص الذي وضع السم في كأس الجنرال قد جاء من الخارج .. فهو
ليس من أهل المنزل كما تتصور .

فسأله "كوبريان" في دهشة : وكيف استطاع الدخول إذن ؟
- من نافذة الغرفة الصغيرة التي تطل على نهر "نيتا" والتي تقع
لصق غرفة الأنسة "ناتاشا" . وقد اعتاد الدخول والخروج من هذه
النافذة وفي استطاعتك مع شيء من الحكمة واللباقة أن توقع به متى
كرر المحاولة .

- وكيف علمت أنه اعتاد الدخول والخروج من هذه النافذة .
- إنه يصعد إلى النافذة بواسطة أنبوب الماء ويستعين على تسلق
الأنبوب بخطاف مشدود إلى حبل ، فهو يحيط جسمه بالحبل ويثبت
الخطاف بالأنبوب .. وهكذا يستطيع الصعود والهبوط وهو بمان من

السقوط .

وقد وجدت آثار هذا الخطاف على الأبواب وعلى حافة النافذة ..
وهذه الآثار تدل على تعدد المحاولات .

- ولكن هذه النافذة تغلق دائما .

- إن هناك من يفتحها له .

- ومن هو الشخص الذي اعتاد أن يفتحها .

- هذا مالا شأن لي به . نعم ليس من شأني أن أذكر لك اسمه . إنني

لا أريد أن أعرفه .

فهتف "كوبريان" في الحال :

- أه .. إنها "تاتاشا" بغير شك . لقد كنت واثقا دائما بوجود حية

رقطاع في هذا المنزل .

لعلك تذكر أنني قلت لك إنها لاتجسر على الخروج من المنزل إلا
نادرا . ذلك لأن شيئا من حركاتها لا يخفى علينا وهي تعلم ذلك .

وقد حدث مؤخرا أنها قصدت إلى حي "درفينا" وهو حي قديم
معروف بأنه عش الثوار الفوضويين . فاجتازت جميع شوارعه . دون
أن تقابل أحدا فيه . ودون أن تتحدث إلى أحد أو تطرق أحد الأبواب .
لماذا ؟ لأنها أحست بان هناك من يتبعها وبأنها موضوعة تحت
المراقبة . فكان من المتعذر عليها أن تقابل شركاءها في الخارج . ولذلك
عمدت إلى مقابلتهم في منزل أبيها .

- إنها لم تقابل في المنزل غير شخص واحد .

- هل أنت واثق بذلك ؟

- نعم .. فالآثار التي اكتشفتها على أنبوب الماء .. وعلى حافة
النافذة لا تترك مجالا للشك في أن خطافا واحدا قد استعمل في جميع
المحاولات .

- يالها من شقية ..

- يخيل إلي أن هذه الفتاة تزعجك أكثر من أي إنسان آخر في روسيا
يا مسيو "كوبريان" . بيد أنني لم أجئ الآن للتحدث إليك عنها .. إنما
لأرشدك إلى الطريق الذي اعتاد أن يسلكه الشخص الذي يعمل على
الفتك بالجنرال .

- اليست هي التي تمهد له الطريق ؟ اليست هي التي تفتح له نافذة الغرفة ؟

- لاشان لي بهذا .

- يا لها من تعسة .. هل تعتقد ان بينها وبين ذلك الشخص صلة غرام ؟
- لا ..

- هذا صحيح .. ف "ناتاشا" ليست بالفتاة التي تعشق وتتورط في الحب . إنها امرأة بلا قلب .. ولكنها ذات عقل .. ومن كان على شاكلتها وتسم عقله بأدران الثورة والتمرد والفوضوية فإنه لا يحجم عن شيء من الفظاظات وأطرق "كوبريان" براسه لحظة ثم سال :

- ولكن ترى هل المسألة مسألة مبدأ اجتماعي فحسب ! إنني اميل إلى الاعتقاد باننا حيال مأساة عائلية فحسب .. مأساة عائلية لا أكثر ولا أقل .

هل تعلم يا مسيو "بوريل" ان "ناتاشا" تصيب من وفاة ابيها ثروة طائلة ؟

فاجاب "بوريل" :

- أعلم ذلك .

وقد نطق "بوريل" بهاتين الكلمتين بصوت عجيب .. جعل "كوبريان" ينظر إليه بحدة ..
سأله :

- ماذا بك ؟

فاجاب "بوريل" بصوت رزين :

- لاشيء . كل ماأريدك أن تقتنع به هو أننا حيال عمل من اعمال الفوضويين .. ولسنا حيال جريمة يراد بها الحصول على المال .
- وما الذي يحمك على هذا الاعتقاد ؟

- إنني تسلمت اليوم رسالة تهديد .. أعتقد أنها من الفوضويين . فضحك "كوبريان" وهتف .

- كن على حذر إذن يا مسيو "بوريل" .

- أنا لا أخشى شيئاً .. لأنني نفضت يدي من هذه القضية وانتهى

الأمر .. فقط أردت أن أقول لك إن غريمنا هو فوضوي من طراز جديد
يختلف عن الفتيان الفدائيين الذين تزودهم الجمعيات الفوضوية
بالبنايل .. فينطلقون بها وهم عالمون أنهم ذاهبون إلى الموت .

- وإلى أين وصلت في اقتفاء أثر هذا الغريم ؟

- إلى بيت "كريستوفسكي" على ضفة نهر "نيفا" فوثب "كوبريان" من
مكانه وهتف .

- بيت "كريستوفسكي" حيث يقيم الضابط "بوريس" فهمت كل شيء
الآن .. إنه خطيب "ناتاشا" ، ولا شك أنه يعمل مع هذه الأخيرة
للحصول على ثروة الجنرال بأسرع ما يمكن فقال "بوريل" في هدوء :
- هذا المنزل يقطنه كذلك "ميشيل" "كوساكوف" .

- هذا الشاب من أخلص جنود القيصر رغم رقة شعوره .

- من الحكمة أن يرتاب الإنسان بكل شخص يا مسيو "كوبريان" .

- ولكنني أثق بهذا الضابط كل الثقة .

- يجب أن يرتاب الإنسان في جميع الناس يا مسيو "كوبريان" .

.. أنا مثلا .. لا أستطيع الارتياب في رجالي .. لأنني أعرفهم حق المعرفة .

- إنك مخطئ ..

- ماذا تعني ؟

- سأقول لك شيئاً قد يفيدك إذا حاولت أن تضع يدك على عنق
صاحبنا الذي اعتاد أن يغشى بيت الجنرال كلما أراد .

نعم .. إذا أردت أن تفرض على بيت الجنرال رقابة صحيحة ، فإنه
يتعين عليك أن تختار المراقبة النافذة المعهودة شخصاً تثق به كما تثق
بنفسك . لا رجلاً يقوم بحراسة غريمك لكيلا يفاجئه أحد وهو يتسلق
أنبوبة الماء .

- لا أستطيع أن أفهمك يا مسيو "بوريل" .

- إن جميع الدلائل والأثار تدل على أن ذلك الغريم اعتاد تسلق
أنبوبة الماء .. والوثوب من النافذة في ذات الوقت الذي كان فيه رجالك
يحرصون المنزل ليل نهار . ولكن هل لاحظت يا مسيو "كوبريان" أن
رجلاً معيناً من رجالك اعتاد القيام بالحراسة ليلاً باستمرار تحت هذه
النافذة ؟

يوجد بمنزل الجنرال دفتر خاص لتسجيل أسماء رجالك الذين قاموا بالحراسة فإذا فحصت ما هو مسجل بهذا الدفتر .. تبين لك أن رجال البوليس كانوا يتناوبون الحراسة في جميع أركان المنزل والحديقة .. ماعدا واحدا منهم كان يفضل دائما أن يقوم بالحراسة والمراقبة أثناء الليل تحت تلك النافذة .. ولم يكن بين زملائه من ينازعه هذه المهمة أو يغبطه عليها .. لأنهم كانوا جميعا يفضلون الرقابة في شرفة المنزل أو في الداخل حيث يتناولون ماتشتهى أنفسهم من طعام وشراب .

وهذا الرجل الذي اعتاد أن يفضل قسوة البرد تحت النافذة على الدفء في الداخل هو شرطي يدعى "تومان" .

فصاح "كوبريان" كمن لا يصدق أذنيه :

- "تومان" ! هذا مستحيل .. إنه من أفضل رجال الشرطة .. وقد أوصى به رؤساؤه فنقل من مركز البوليس في "كييف" إلى إدارة الشرطة في موسكو .

فلم يجب "بوريل" ، واخذ "كوبريان" يسير في الغرفة جيئة وذهابا وعلى وجهه علامات التفكير العميق ، وأخيرا قصد إلى الباب ففتحه وأصدر إلى أحد رجاله أمرا باللغة الروسية .. ثم عاد وهو يقول :

- والآن اسرد علي تفاصيل حادث السم وكيف وقع .. فشرع "بوريل" يسرد عليه التفاصيل كما يعرفها القراء .. وما كاد ينتهي من حديثه حتى فتح الباب وبخل أحد رجال الشرطة وفي أثره اثنان من اتباع "كوبريان" .. قصد "كوبريان" إلى الباب وأغلقه بنفسه ، ثم عاد إلى الشرطي وراح يصعده بعينه .

قال له فجأة :

- إن لي معك حديثا يا "تومان" .. أنت رجل خائن .. وعندي الدليل على خيانتك ، فاعترف فأعطيك ألف روبل وأصفيح عنك .

فارتجفت أهداب الشرطي ، وقال كلاما باللغة الروسية ، فصاح به "كوبريان" :

- إنك تجيد اللغة الفرنسية فتكلم بها فقال الرجل بصوت ثابت :

- إنني لا أفهم ما تعني يا سيدي .

- أريد أن أقول لك إنك ساعدت شخصا على دخول منزل الجنرال تريباسوف ليلا بينما كنت تقوم بالحراسة تحت إحدى النوافذ .. لا تحاول أن تنكر ، لأنني أعرف جميع التفاصيل .. ولكني أود اختصار الوقت فأعرض عليك صفقة رابحة بالنسبة إليك .. اذكر لي اسم ذلك الشخص الذي ساعدته على دخول المنزل ، فأصفح عنك وأنقذك الف روبل .

- إنني على استعداد لأن أقسم بأن ..

- لاتحلف كذبا ..

- إن ماضي يدل على أنني رجل شريف مخلص .

- أريد معرفة اسم ذلك الرجل .

- أؤكد لك مرة أخرى ياسيدي أنني لأفهم شيئا . فضرب "كوبريان"

المكتب بقبضة يده وهتف :

- بل أنت تفهم ما أعني .. لقد استطاع أحد الناس دخول منزل

الجنرال تريباسوف من خلال النافذة أثناء وجودك تحتها ليلا .

- لم أر شيئا يا سيدي .. ومن المحتمل أن يكون أحد الناس قد

استطاع الدخول دون أن أشعر به أو أراه نظرا لشدة الظلام في بعض

الليالي .

- أنت خائن تغش .. أريد معرفة اسم الرجل .

- أؤكد لك يا ..

فقاطعه "كوبريان" بان نظر إلى الشرطيين اللذين جاءا برفقة "تومان"

وصاح :

- انزعا ثيابه .

فهتف "بوريل" :

- ماذا تريد أن تفعل يامسيو "كوبريان" .. ماذا تريد أن تفعل ؟

ولكن "كوبريان" لزم الصمت .. وراح يسير في الغرفة جيئة وذهابا

بينما شرع الشرطيان في نزع ثياب "تومان" الذي لم يبد أية مقاومة .

صاح "بوريل" مرة أخرى وهو يسير في أثر "كوبريان" كأنه يستجديه

أو يضرع إليه :

- ماذا تريد أن تصنع يا سيدي ؟

فاجاب "كوبريان" بغلظة :

- إليك عني .

واختطف سوطاً من الجلد .. وانهاهال به على جسد "تومان" .. وهو يصب عليه اقبح الشتائم والسباب .

كان السوط يهبط على جسد الرجل التعس .. فيترك فيه اثرا داميا عميقا .. كل ذلك والرجل صامت لا يتأوه ولا يصيح كأنه قديس يهون عليه ان يموت ولا يرجع عن عقيدته .

ولما القى "كوبريان" السوط اخيرا وهو يلهث تعباً وغيظاً ، هتف "بوريل" بصوت أجش .

- سوف انبئ القيصر بهذه القساوة .

فاجاب "كوبريان" :

- إنك لاتعلم مبلغ الضرر الذي ربما ترتب على خيانة هذا الشقي .. وهنا القى "تومان" ثوبه على كتفيه وارتمى على أحد المقاعد وقال بصوت لاهث وهو ممتقع اللون .. لامع العينين :

- نعم .. لا أحد يعلم ما كنت أضمر من الضرر .. إنك ورجالك ومن هم على شاكلتك قد فعلتم بي اقصى ما يمكن لإنسان لايعرف للرحمة والإنسانية معنى أن يفعله بإنسان لايملك لضركم وقسوتكم دفعا .. إنني لا ادعى "تومان" .. بل ادعى "ماتيف" .. فاصغ إلي يا "كوبريان" .. لقد كان لي ولد .

وهنا اغرورقت عينا الشرطي الشيخ بالدموع واستطرد :

- كان لي ولد هو اعز علي من حياتي .. وإنسان عيني ولم تكن لدى ولدي نزعة سياسية .

كنت موظفا في موسكو .. وكان ولدي طالبا .

وقد حدث أثناء الاحتفال بعيد العمال الذي يسميه الثوريون "الاسبوع الاحمر" أن خرجت مع ولدي لشهود ما يقع في الشوارع بالقرب من حي "برسينا" فقد قيل لنا إن معركة هائلة وقعت هناك بين الثوار ورجال البوليس فدفعنا الفضول إلى رؤية الآثار التي تخلفت عن هذه المعركة .

مررنا بمركز البوليس في "برسينا" فاعترضنا جماعة من رجال

الشرطة يرابطون في عرض الطريق ، وراحو يستوقفون المارة ويفتشونهم .

وقفت مع ولدي . وحللنا أضرار معاطفنا وثيابنا . وأقبل رجال الشرطة يفتشوننا . لاحظوا أن ولدي يرتدي تحت معطفه ثوبا من ثياب الطلاب الذين كانوا وما زالوا قذى في عيون البوليس وأعداء الثورة . ففتشوه بعناية . ووجدوا في صدريته دفترا صغيرا كان قد سجل فيه انشودة من أناشيد العمال نشرتها إحدى الصحف مؤخرا .

ولم يكن بين أولئك الشرطة من يجيد القراءة فحسبوا أن الانشودة منشور يحض على الثورة . والقوا القبض على ولدي . طلبت إليهم أن يعتقلوني معه فطردوني .

أسرعت إلى الجنرال "تريباسوف" الحاكم العسكري .. وطلبت مقابله ولكنه أمر رجاله بطردي . فابعدونني عن بابه بأحذيتهم . ولما الححت في مقابله أمر بوضعي في السجن حتى صباح اليوم التالي .

ولما أطلقوا سراحي في اليوم التالي .. أسرعت إلى مركز البوليس في "برسينا" وسالت عن ولدي .. فقالوا لي إنهم لا يعرفونني ولا يعرفون ولدي .

بيد أن أحد الشرطة الذين القوا القبض على ولدي في اليوم السابق عرفني وأشار إلى مركبة خرجت في تلك اللحظة من مركز البوليس يحيط بها جماعة من القوذاق وقال لي "إن ولدك في هذه المركبة .. إنهم يحملونه إلى المقبرة" .

جن جنوني حزنا وياسا .. تتبعت المركبة عن كثب حتى بلغت إلى جولونتين حيث المقبرة العامة التي تلقى فيها جثث المجهولين والمجرمين .

وقفت المركبة هناك . وأخرج ، منها القوذاق ثلاث عشرة جثة مددوها على الثلج .

بحثت عن جثة ولدي حتى وجدتها رايت على وجهه أبلغ آثار النكال والتعذيب .

قلت للجنود إنه ولدي . فسمحوا لي بأن أقبله لآخر مرة . قبلته . وقبلته في مواضع الجروح التي أثخن بها جسده الغض . كانت أربعة عشر جرحا . ووجدت أن الجنود قد سرقوا السلسلة

الذهبية التي تدلت منها صورة والدته .

اقسمت أن انتقم .. ولم تكذ تنقضي أربع وعشرون ساعة ، حتى وضعت نفسي تحت إمرة اللجنة المركزية للثورة وبعد أسبوع .. صدر الأمر بنقل الشرطي "تومان" من بوليس "كييف" إلى بوليس "موسكو" . ولكنه قتل بطريقة غامضة بعد أن بارح "كييف" واختفت جثته . وجاءتني أوراقه الشخصية عن طريق اللجنة المركزية .. وقيل لي إنني أشبه "تومان" كل الشبه . وأن في استطاعتي أن أخدم الثوار وأنا في سلك رجال البوليس كما لا أستطيع وأنا طريدهم .

كان كل أملي في الحياة أن انتقم من "تريباسوف" أو أساهم في الانتقام منه .. أه .. كم وددت لو أستطيع أن أخنقه بيدي .. غير أن اللجنة المركزية كانت قد ناطت بسواي مهمة إنقاذ روسيا من شر هذا الطاغية .. وبذلك اقتصرت مهمتي على مساعدة الشخص الذي اختارته اللجنة .

والآن . هل تعتقد أنني أبوح لك باسم هذا الشخص أبدا . على أنك إذا عرفت هذا الشخص ، فسوف يتلوه آخر . وآخر حتى يغنى الثوار جميعا . أو يهلك "تريباسوف" الطاغية هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك يا "كوبريان" .

وصمت الرجل وهو يلهث .. ثم تحول فجأة إلى "بوريل" .. وقال وشر الغضب ينبعث من عينيه :

- أما أنت . فلم تعد حياتك أئمن من حياتي . وذلك خير عزاء لي . وكان "كوبريان" قد ترك الرجل يتكلم ويفضي بما عنده دون أن يحاول مقاطعته .

فلما فرغ من كلامه نظر إليه في حزن وقال :

- هل تعلم أيها التعس أن مصيرك سيكون الإعدام شنقا .

- فصاح "بوريل" :

- لا يا مسيو "كوبريان" . أراهنك على أن هذا الرجل لن يعدم .

- فأوما "كوبريان" إلى الشرطيين أن يذهبا بـ "تومان" وقال موجهًا

سؤاله إلى "بوريل" :

- ولماذا ؟

- لأنني أنا الذي وشيت به .
- وهل ذلك يبزر الصفح عنه ؟ ماذا تريدني أن اصنع به ؟
- ضعه تحت الحراسة . واحتفظ به لي .
- بأي مقابل ؟
- في مقابل حياة الجنرال تريباسوف . حياة بحياة وستكون انت الرابع .
- فقال كوبريان بلهجة التهكم :
- إنك تتكلم كما لو كانت حياة الجنرال تريباسوف في قبضة يدك ولك حرية التصرف بها .
- فالتقى "بوريل" بيده على كتف كوبريان وقال :
- ربما ..
- هل تريد أن أقول لك شيئاً يا مسيو "بوريل" ؟ ..
- اعلم إذن بأن حياة الجنرال تريباسوف بعد هذا الذي سمعته من "تومان" الذي ليس بـ "تومان" .. لم تعد أئمن من حياتك إذباقيت في روسيا يوماً آخر .. ومن الأفضل لك أن ترحل بأول قطار .
- فاخذ "بوريل" يسير في الغرفة جيئةً وذهاباً ثم قال فجأة :
- لا . لن أرحل .
- لماذا .
- يجب أن أوضح لجلاله القيصر ما عجز مدير بوليسه عن إيضاحه من أسرار القضية التي كلفت بتحقيقها .
- فعض "كوبريان" على شفته وأطرق براسه .
- سال "بوريل" وفي عينيه بريق الفوز :
- ماذا في نيتك أن تفعل بهذا الرجل ؟
- سارسل به إلى المستشفى العسكري لمعالجته .
- ثم ؟
- ثم أدفع به إلى جهة الاختصاص .
- أي إلى المحكمة فالمشقة ؟
- ربما ..
- دعني أكرر لك ما قلته منذ لحظة يا مسيو "كوبريان" ..

حياة بحياة .. امنحني حياة هذا الشيخ التعس .. واعدك بحياة
الجنرال تريباسوف .

- اوضح ..

- ليس هناك ما يحتاج إلى الإيضاح .. هل تعدني .. بان تكتم قصة
هذا الرجل .. ؟

- حسنا . ولكن بشرط .

- هو ؟

- هو ان تحدثني بتفاصيل التحقيق الذي قمت به والادلة التي
وقعت عليها لكي اقدم تقريرى إلى جلالة القيصر .

- اتفقنا .. وبهذه المناسبة أرجو أن تتخذ الإجراءات الضرورية
بشأن جواز سفرى . لأن في نيتى الرحيل غدا .

الفصل الثامن

مأساة

عاد "بوريل" في المساء إلى منزل الجنرال "تريباسوف".
أدهشه وهو يهم بدخول المنزل أن يسمع حركة غير عادية في الغابة القريبة.

حانت منه التفاته .. فرأى بين الأشجار رأسا يرتفع فوق الأعشاب ثم يغوص فجأة ..

كان رأس رجل من رجال الشرطة .

وقف في مكانه لحظه وقال لنفسه :

- ترى هل بث "كوبريان" رجاله حول المنزل مرة أخرى ؟

قصد إلى الغابة . ولم يكد يصل إلى الصف الأول من الأشجار حتى برز له "كوبريان" وفي يده مسدس .

سأله :

- انت هنا . وبنفسك .

فارتسمت على فم "كوبريان" ابتسامة غامضة .. وأجاب بصوت غريب لم يألفه "بوريل" .

- نعم ..

- هل من جديد ؟

فأجاب مدير البوليس بتلك اللهجة الغامضة :

- إن عندي من الأسباب ما يحملني على الاعتقاد بأن محاولة أخرى ستقع الليلة .

- هل "ناتاشا" بالمنزل ؟

- نعم .. واعتقد أنها في غرفتها . على الرغم من أنني لا أرى ضوءا في نافذتها .

هل أخطرت "ماترينا بتروفنا" ؟

- نعم . وطلبت إليها أن تكون على حذر . والا تامن لإنسان .. قال

ذلك ونظر إلى "بوريل" نظرة خاصة لم يلاحظها هذا الأخير .

قال "بوريل" :

- إنك أخطأت .. لو كنت في موضعك لما أخطرتها بشيء .
- إنني طلبت إليها أن تلازم فراش زوجها .. ولا تبرح غرفته طوال الليل .

فابتسم "بوريل" وقال :

- إنها كالحركة الدائمة ولن تعمل بمشورتك . ولكن حدثني . هل اتخذت إجراءات أخرى ؟

- بالتأكيد إنني أفدت من جميع المعلومات التي أفضيت بها إلي ..
وبثنت رجالي على طول الطريق بين ضفة النهر وهذا المنزل .
- وماذا في نيتك أن تفعل ؟

- هذا يتوقف على الظروف . يجب أن أعمل شيئاً على كل حال ..

- أتمنى لك التوفيق ، وإلى اللقاء .

- إلى أين أنت ذاهب ؟

- إنني ذاهب لأنام بالتأكيد .

ومد يده إلى "كوبريان" ، ولكن هذا أمسك بها وهمس :

- صبراً . اصغ . ألا تسمع ؟

- فأرهف "بوريل" أذنيه ، وسمع حركة مجداف في الماء وهتف .

- إنه جاء سالكا الطريق ذاته الذي سلكها ليلة أمس ، ساترصده

في المنزل ، حتى يثب من سور الحديقة .

قال ذلك وانبطح على الأرض ، وراح يزحف على يديه وركبتيه ، حتى

وصل إلى المنزل ، وهناك لاحظ أن النافذة المعهودة مفتوحة قليلا .

وفي اللحظة ذاتها ، شعر "بوريل" بحركة بالقرب من سور الحديقة

أشهر مسدسه وتوارى خلف إحدى الأشجار .

ومر الشخص أمامه . فحاول أن يرى وجهه ، لكنه كان مقنعا وقد

التف بوشاح أسود كبير .

وفي هذه اللحظة فتحت النافذة قليلا .. وأطل منها رأس "ناتاشا" ثم

اختفى الرأس في الحال .

وشرع الرجل الخفي يتسلق أنبوب الماء بالطريقة التي وصفها

"بوريل" من قبل .

وعندئذ ارتفع صراخ "ماترينا بتروفنا".
كانت تصيح باللغة الروسية .. وفهم "بوريل" انها تستغيث
بـ"كوبريان" وتطلب إلى رجاله أن يطلقوا النار .
ولاحظ "بوريل" أن الرجل قد تردد في منتصف الطريق بين أن
يواصل الصعود . وبين أن يهبط . ورأى رجال "كوبريان" قد خرجوا من
مكائهم .. وراحوا يثبون نحو الحديقة .. فأسرع إلى الطابق الأول
ليتلقي غريمه هناك .. ولم يكد يصل حتى رأى "ماترينا" تطل من إحدى
النوافذ . وتمسك مسدسا في يدها .
انزع منها المسدس وهو يصيح :
- لا تقتليه . نريد أن نأخذه حيا .

وأسرع نحو غرفة "ناتاشا" ، فوجد بابها مغلقا .
انتقل إلى الغرفة المجاورة . ورأى "ناتاشا" تطل من النافذة وترقب
باهتمام شديد مراحل النضال بين الزائر الخفي ورجال البوليس .
وكان أحد رجال "كوبريان" قد أطلق الرصاص على الرجل فأخطاه
وقابله هذا بالمثل وأصابه بجرح في ساعده .
ورأى "بوريل" أن الرجل بدا يهبط بسرعة فوثب إلى الخارج ليقطع
عليه سبيل الفرار .

وفي هذه الأثناء دخلت "ماترينا بتروفنا" الغرفة الصغيرة ورات
"ناتاشا" تطل من النافذة فاطبقت على عنقها كاللبوة الثائرة . وسقطت
الاثنان على الأرض . وجثت المرأة على صدر الفتاة وهي ترغي وتزبد
وأوشكت أن تغرز أظفارها في عنق "ناتاشا" . لولا أنها رأت الجنرال
تريباسوف قد انتصب أمامها كأنه شبح برز من الظلام .
ذعرت "ماترينا بتروفنا" ..

بأية معجزة استطاع "فيودور تريباسوف" أن ينهض من مقعده
ويسير على قدميه .

كان الشيخ يرتجف حنقا وغضبا .. سال بصوت كالرعد :
- ماذا حدث ؟

فألقت "ماترينا" بنفسها تحت قدميه .. ورسمت علامة الصليب على
صدرها كما لو كانت قد رأت ميتا يخرج من القبر .. وقالت وهي تشير

بأصبعها إلى "ناتاشا" :

- حدث أنهم أرادوا مرة أخرى أن يقتلوك يا "فيودور" .. والشخص الذي فتح النافذة لأعدائك ليلة أمس ، وفتحها الليلة هو ابنتك .
فاستند الجنرال إلى الجدار وراح ينقل البصر بين زوجته وابنته ..
ثم قال للأولى .

- إنك أنت التي تقتلينني .

فصاحت "ماترينا" :

- لو كتمت عنك الحقيقة لكنت قتلتك .. ولكنني لن أجلب عليك شيئاً من الألم بكلمة أنطق بها ، وبحسبك أن تسأل ابنتك ، فإذا أجابت بأنني لم أذكر غير الحقيقة فاقتلني كما تقتل كلباً .. أواه : كم أود أن أموت .. اقتلني .

فدفعها الجنرال بقدمه كما يدفع شيئاً دنساً .. فنهضت على ركبتيها .. وراحت تجيل حولها بصراً تائهاً .

كانت تبحث عن المسدس الذي انتزعه "بوريل" منها . ولو أنها وجدته لما ترددت لحظة واحدة في أن تطلق منه رصاصة على قلبها لأن "فيودور" لم يصدقها ولأنها جلبت على نفسها سخطه واحتقاره .
قال الجنرال لابنته بصوت هادئ :

- انهضي يا "ناتاشا" .. فجففت الفتاة دموعها ، وأدركت في الحال أن أباهما لم يصدق التهمة التي وجهت إليها .

نهضت واقفة ، واقتربت منه وركعت أمامه ، ورفعت يديه إلى شفتيها .

وفي هذه اللحظة . دخل "كوبريان" وفي أثره "بوريل" فنهضت "ماترينا" في الحال ونظرت إليهما متسائلة ، فقال "كوبريان" بصوت رهيب :

- لقد قتلناه .

وسمعت "ناتاشا" هاتين الكلمتين : فافلتت من بين شفتيها صيحة زعر ..

وهتفت "ماترينا" .

- من هو ؟ من هو ؟ !

فاقترب "كوبريان" من الجنرال وتناول يده . وشد عليها وهو يقول :

- يا سيدي الجنرال .. كان هناك رجل جعل من نفسه أداة في يدي أعدائك قد قتلنا هذا الرجل . فسأله الجنرال :

- هل هو ممن أعرفهم !

- إنه كان من أصدقائك . وكنت تعامله كأنه ابنك .

- اسمه ..

- سل ابنك عن اسمه ..

فتحول الجنرال إلى "ناتاشا" . وكانت هذه تنظر إلى وجه "كوبريان" بحدة كأنها تريد أن تتبين مبلغ كلامه من الصحة .

قال الجنرال :

- هل تعرفين الرجل الذي أراد قتلي يا "ناتاشا" ؟

- فأجابت في الحال .

- لا .. أنا لا أعرف أحدا ممن يريدون قتلك . فقال "كوبريان" بصوت أجش :

- إنك تعرفين هذا الرجل يا أنسة .. وقد فتحت له النافذة ، هذه الليلة و ليلة أمس ومرارا قبل ذلك .

نعم .. في الوقت الذي كنا نتولى فيه حراسة هذا المنزل لنمنع كائناً من كان من الدخول حيث يقيم الجنرال "تريباسوف" حاكم موسكو العسكري ، الذي قضت اللجنة المركزية الثورية بإعدامه ، كنت أنت تساعدين أعداء أبيك على دخول المنزل .

فصاح الجنرال :

- أجيبني يا "ناتاشا" .. أجيبني بنعم .. هل مكنت أحدا .. من دخول هذا المنزل ليلاً ؟

- نعم يا أبي .

فرمجر "تريباسوف" كالأسد :

- ما اسمه ؟

فاومات براسها نحو "كوبريان" وأجابت بصوت أجش :

- يستطيع هذا السيد أن يذكر اسمه .. لماذا لاينطق باسمه طالما يعرفه ومادام قد قتله ؟

فقال الجنرال :

- وإذا كان هذا الرجل لم يمّت .. إذا كان قد تمكن من الفرار ، فهل تذكرين لي اسمه ؟

- لا أستطيع يا أبي .

- وإذا توسلت إليك ؟

فهزت الفتاة رأسها سلبا ..

استطرد الجنرال :

- وإذا امرتك .

- تستطيع أن تقتلني يا أبي . ولكن لن أذكر اسمه .

- أيتها التعسة !!

ورفع عصاه في يده . خيل للناظرين أنه سيهوي بها على رأسها .

ولكن الفتاة لم تحاول اجتناب العصا بل قالت وهي تنظر إلى كوبريان نظرة فوز :

- إنه لم يمّت ، لو أنك أخذته حيا أو ميتا لاستطعت أن تذكر اسمه .

فاقترب منها كوبريان ، وألقى بيده على كتفها وقال :

- إنه ميشيل كورساكوف .

فصاح الجنرال :

- ميشيل كورساكوف .

وهتفت ماترينا كأنما سري عنها :

- ميشيل كورساكوف .

لم يصدق الجنرال أذنيه ، ونظر إلى ابنته فراها تهتم بالفرار إلى غرفتها وهي ممتعة اللون ، مضغضة الحواس ولكنه استوقفها بنظرة سريعة ، وصاح :

- "ناتاشا" ، اذكري لي لماذا كان ميشيل يدخل هذا المنزل تحت جناح الظلام ؟

فلزمت "ناتاشا" الصمت ، وصاحت "ماترينا" :

- لماذا ؟ لكي ييس لك السم .

ورأت "ماترينا" من تداعي "ناتاشا" ما شجعها ، فراحته تسرد على زوجها مالم يكن يعلمه من حوادث الليلة السابقة ، وأتمت حديثها بان اشارت إلى "بوريل" وهتفت :

- هو ذا الذي انقذ حياتك يا "فيودور" .

وكان "بوريل" في اثناء ذلك يرقب "ناتاشا" عن كثب فراها مرارا وهي تهتم بمقاطعة "ماترينا" ، ولاحظ ان دهشتها لوقائع الحادث لا تقل عن دهشة الجنرال ، فلما فرغت "ماترينا" من كلامها ، وهتفت "هو ذا الذي انقذ حياتك يا فيودور" تحولت "ناتاشا" نحو "بوريل" . والهبتة بنظرة نارية وصاحت :

- بل هو ذا الذي كان سببا في قتل رجل بريء !

ثم نظرت إلى أبيها واستطردت :

- أبي .. أبي .. دعني اقل لك إن "ميشيل كورساكوف" الذي دخل هذا المنزل خلسة أكثر من مرة ، وحاول دخوله الليلة ، هو غير الرجل الذي جاء لك بالأمس ودس لك السم .

فامتقع وجه "بوريل" ولكنه اجاب :

- بل هو بعينه يا أنسة .

وقال "كوبريان" :

- يضاف إلى ذلك اننا وجدنا الدليل على وجود صلة بين "ميشيل

كورساكوف" والفوضويين ..

فهتفت "ناتاشا" في الم :

- أين وجدت هذا الدليل ؟

- في منزل "ميشيل" .

فقالت بلهجة الاستعطاف :

- وما هو هذا الدليل ؟

- رسائل تبودلت بينه وبين الثوار . وقد صادرتها .

- وماذا تتضمن هذه الرسائل ؟

- إذا كان أمرها يهمك فإنني أمر بإحضارها .

- يا إلهي . يا إلهي .. أين وجدتها . اجبني أين وجدتها ؟
- قلت لك إننا وجدناها في غرفته . في درج مكتبه .
فتنفست "ناتاشا" الصعداء ، بيد أن الجنرال أسرع فامسك بساعدها
بعنف وقال :

- تكلمي يا "ناتاشا" . ماذا كان هذا الرجل يعمل هنا ليلا ؟
فهتفت "ماترينا" :

- نعم . ماذا كان يعمل في غرفتها ؟
فتحولت "ناتاشا" إلى "ماترينا" وصاحت :
- ما الذي يجول بخاطرك . تكلمي .. افصحي .
قال الجنرال :

- إنني في الواقع لا أستطيع أن أفهم شيئا .. تقولين يا "ناتاشا" إنك
لاتعرفين الرجل الذي أراد قتلي .. ربما كنت صديقة .. إنني أتمنى أن
تكوني صديقة . أتمنى وأسأل الله أن تكوني كذلك .. ولكن لماذا كنت
تستقبلين "ميشيل" في غرفتك تحت جناح الظلام ؟ لماذا ؟ لماذا كان يدخل
المنزل كأنه لص .. أو كأنه ..
فقاطعته الفتاة :

- أنت تعلم يا أبي أنني أحب "بوريس" .. ولا أحب سواه .
- إذن ؟ إذن ألا تريدين أن تتكلمي .

فهتفت الفتاة في انفعال :

- لاتسألني يا أبي .. اضرع إليك ألا تسألني . ليس في مقدوري أن
أقول شيئا .. كل ما أستطيع أن أقوله الآن هو أن "ميشيل كورسكوف"
لم يدخل هذا المنزل ليلة أمس .

فقال "بوريل" بصوت خافت .. ولكنه لا يخلو من الاضطراب :
- أنا واثق بأنه دخل هذا المنزل ليلة أمس .

وقالت "ماترينا" :

- لا شك في ذلك .. إنه جاء حاملا السم ليقتل به أباك يا "ناتاشا" .
فقال "ناتاشا" في ثبات :

- وانا واثقة بانه ليس هو .. ولا يمكن أن يكون هو واقسم أن الذي
دخل المنزل ليلة أمس هو رجل سواه .
فقال "كوبريان" :

- إذا كان الشخص الذي دخل هذا المنزل أمس هو رجل آخر غير
"ميشيل" فإنك على كل قد ساعدته على الدخول .

- ربما اكون قد ساعدته على ذلك دون أن اعلم .. والواقع أنني تركت
النافذة مفتوحة .. لأنني كنت على موعد مع "ميشيل" .. ولكنه لم يأت ..
ولما سمعت أثناء الليل جلبة في الجناح الآخر من المنزل ، أسرعت إلى
النافذة فاعلقتها .

اما "ميشيل" فإنني على يقين بانه لم يرتكب الجريمة التي عنها
تتكلمون . ومع ذلك فإنكم قتلتموه . يا إلهي . يا إلهي إنكم لا تعلمون
ماذا صنعتم .

فاجاب "كوبريان" ببرود :

- إن ما صنعناه هو أننا تخلصنا من رجل جعل من نفسه أداة بين
أيدي الفوضويين ! ..
فصاحت الفتاة بحدة :

- هذا غير صحيح . هذا كذب . هذه تهمة ملفقة . أين الأدلة . أين
الأوراق التي تزعم أنك عثرت عليها عنده ؟
فقال الجنرال :

- نعم . أين الأوراق يا "كوبريان" . جئني بها في الحال أريد أن
أراها .

فظهرت على وجه "كوبريان" علامات الحيرة . ولاحظت "تاتاشا"
حيرته فهتفت :

- نعم . ليقدم إلينا هذه الأوراق . إنه لا يملكها ولا يملك أي دليل .
أرايت يا أبي . أؤكد لك أنه لا يملك دليلاً واحداً ولا وثيقة واحدة ..
وانهمرت الدموع من عينيها . ولكنها كانت دموع الفرح .
سال الجنرال :

- أصحيح يا "كوبريان" أنك لا تملك دليلا ؟
فاجاب "كوبريان" :

- نعم يا سيدي الجنرال . الواقع أن رجالي وصلوا بعد فوات الوقت
ووجدوا أن هناك من أخفى أوراق "ميشيل" فصاحت "ناتاشا" :
- إنه لم يجد شيئا .. ومع ذلك يجرؤ على اتهام "ميشيل" المسكين
بأنه كان على اتصال بالفوضويين .

ولماذا يتهمه .. ؟ لأنني كنت أقابله خلصة .. ولكن هل أنا من
الفوضويين كذلك ؟ هل أعمل على قتل أبي ؟ أرايت يا أبي . إنه لا يجد
ما يقوله .. إنه كان كاذبا .

- لماذا خدعتنا يا "كوبريان" ؟

- نحن واثقون يا سيدي الجنرال بأن الرجل الذي حاول قتلك بالسم
أمس ، والذي فاجأناه وقتلناه هذا المساء هما شخص واحد .

فصاح الجنرال بضجر :

- وما الذي يحملك على هذه الثقة ؟

- سل هذا السيد .

- وأشار إلى "بوريل" فقال هذا :

- إن في استطاعتي أن أقدم الدليل على أن شخصا واحدا فقط كان
يتردد على هذا المنزل خلصة .. وقد ترك بالأمس مثل الآثار التي كان
يتركها في المرات السابقة .

فالتقى الجنرال بيده على كتف "بوريل" وقال :

- أصغ إلي يا سيدي . لقد دخل رجل هنا ليلة أمس .. وهذا أمر لا
يعني أحدا سواي . ولا يجب أن يدهش أحدا سواي . نعم هذه مسألة
استطيع تصفيتها مع ابنتي ولكنك تزعم أن هذا الرجل دس لي السم
أمس . وهذا الزعم يغير الموقف . ولكي أصدقك يجب أن أرى الدليل .

تقول إن الرجل ترك أثرا . فهل بنا لنرى هذا الأثر .

فقال "بوريل" :

- إن هذا الرجل اعتاد أن يصعد أنبوب الماء بواسطة حبل وخطاف

وقد دخل المنزل أمس .. وانتقل من هذه الغرفة إلى الجناح الخاص بك وكان في أثناء سيره يحمل الحبل والخطاف في يده .. ولما كان الظلام دامسا ، فإنه اهتدى في طريقه إلى حاجز السلم .. فأخذ يسير مستندا إلى هذا السلم باليد التي تحمل الحبل والخطاف .. وقد ترك الخطاف أثرا على حاجز السلم لاحظته في الصباح . وفي استطاعتك أن تراه الآن بنفسك .

قال ذلك وخرج من الغرفة . وتبعه الآخرون حتى إذا بلغوا حاجز السلم ، أشار "بوريل" إلى أثار على الحاجز الخشبي .. تدل على أن الشخص الذي تكلم عنه ، كان حقا يستند إلى الحاجز باليد التي تحمل الخطاف فكانت اليد تضغط الخطاف فيترك هذا طابعه على الحاجز .
فهتفت "ناتاشا" :

- إن ذلك لا يثبت شيئا .. ومن المحتمل أن يكون الشخص الآخر الذي جاء غوضا عن "ميشيل" .. قد استخدم نفس طريقته في صعود أنبوب الماء .. وحمل معه مثل الخطاف الذي كان "ميشيل" يستعين به على الصعود .

تهالك الجنرال "فيودور تريباسوف" في مقعده وظهرت على وجهه علامات الإعياء الشديد هذا الرجل الذي لم ترعجه قنابل الفوضويين وسمومهم . هذا الرجل الذي لم يقم وزنا للمؤامرات التي تحاك حوله ، والتهديدات التي تتوالى عليه .. هذا الطاغية الجبار ، بطل مذبحة موسكو .. قد هدمه خاطر واحد ، هدمه مجرد التفكير في أن ابنته التي كان لها بمثابة الأب والام في وقت واحد، وابنته التي أحبها كما لم يحب أحدا سواها ، تأمرت مع المتآمرين ضده ، وذللت لهم سبيل الفتك به وهو نائم لا يملك عن نفسه دفاعا .

اقترب "كوبريان" من الوالد التحس وقال له :

- اصغ يا "فيودور تريباسوف" .. إن الذي يتحدث إليك هو صديقك قبل أن يكون مدير البوليس .. فإذا لم تسأل ابنتك أمامنا نحن -

أصدقاءك وأقدر الناس على كتمان السر .

أقول إذا لم تسأل ابنتك عن سر سلوكها وتصرفاتها ، وإذا لم تطلب إليها إيضاح الغرض من مقابلاتها الليلية مع "ميشيل كورساكوف" ، وإذا لم تتقدم إلينا الأنسة "ناتاشا" بجواب مقنع فإنني أضطر إلى الانسحاب في الحال والالتجاء إلى وسائل أخرى تكفل إيضاح الحقيقة.

نعم إن كل ما أرجوه الآن هو أن استوثق بأن ابنتك لم تكن الد أعدائك .

تنهد "تريباسوف" .. وقال :

- نعم .. إن "كوبريان" على حق .. يجب أن يعرف الحقيقة رفع عينيه إلى "ناتاشا" ، فغمغمت الفتاة :

- ليس عندي ما أقوله .

فأشار "كوبريان" بسبابته نحوها وهتف :

- هاهي شريكة أعدائك يا سيدي الجنرال .

فأفلتت من شفتي الفتاة صيحة كصيحة الحيوان الجريح ، وارتمت تحت قدمي أبيها ، واحاطت ساقيه بذراعيها وهتفت :

- أبي .. يا أبي العزيز .. انظر إلى عيني .. بحسبك أن تنظر إلى عيني .. لا تطالبني بما يستحيل علي أن أقوله .. صدقني يا أبي ، ولاتصدق هؤلاء الناس .. إنني لا أستطيع أن أقول شيئا .. لا أستطيع .. أقسم بحبي لك .. أقسم على قبر أمي التي لم أرها ، بأنني لا أستطيع .

لا تطالبني بإيضاح يا أبي .. وضمني بين ساعديك كما كنت تفعل وأنا صغيرة .. واحببني يا أبي العزيز .. فإنني لم أكن قط بحاجة إلى حبك كما أنا الآن ..

احببني .. فإنني مخلوقة تعسة .. لاتستطيع حتى أن تقتل نفسها أمام عينيك لتبرهن على براءتها ، وإخلاصها لك .

ورفعت إليه عينيها الصافيتين واستطردت :

- انظر إلى عيني .. الا ترى فيهما أنني احبك يا ابي .. يا ابي العزيز .. وانحدرت الدموع من عيني الجندي الشيخ .. ورفع رأس ابنته بين كفيه ، ونظر في عينيها طويلا . ثم سالها بصوت متهدج :
- الا تستطيعين الآن أن تبوحي لي بشيء ؟ إذن متى تستطيعين ؟
فحولت الفتاة عينيها إلى النافذة ، ونظرت نحو السماء وقالت :
- الله يعلم أنني لن أستطيع أبدا ..
ولم يتمالك "ماترينا" و"كوبريان" و"بوريل" من الارتعاد ، فقد نطقت الفتاة جملتها الأخيرة بلهجة يمتزج فيها الإخلاص والحزن والياس .
أما الجنرال فإنه تأمل وجه ابنته طويلا .. ثم انهضها وضمها إلى صدره .

وهنا ألقت "ناتاشا" على "ماترينا" نظرة فوز وهتفت :
- لقد صدقني .. ولو كنت أُمي لصدقني أيضا .
وكانت هذه الزوبعة ، والانفعالات الشديدة التي مرت بها قد هدت أعصابها وضعضعت قواها ، فسقطت على الأرض فاقدة الوعي .
وعندئذ ركع الجنرال بجانبها . وحمل رأسها بين يديه .. ونظر نحو الثلاثة نظرة غضب وسخط . وصاح بصوت كالرعد :
- إليكم عني .. اذهبوا .. اذهبوا جميعا .

الفصل التاسع

حديث

ما كاد "كوبريان" و"بوريل" ينصرفان من منزل الجنرال حتى لحق بأولهما أحد ضباط البوليس .. ودار بينهما حديث طويل ، لم يتبين منه "بوريل" كلمة واحدة ، لأنه دار بصوت خافض وباللغة الروسية . ولما فرغ "كوبريان" من ذلك الحديث .. ولحق به "بوريل" كانت على وجهه علامات الحيرة ..

وواصل الرجلان السير في صمت محزن .. إلى أن قال "بوريل" فجأة:

- هل اتخذت الإجراءات الخاصة بجواز سفري يا مسيو "كوبريان" ؟

- أما زلت مصرا على السفر غدا ؟

- نعم .. إلا إذا حدث جديد .

- وهل تجد في استطاعتك الآن أن تميظ اللثام عن أسرار هذه

القضية ؟

- إن موعدنا غدا كما اتفقنا .

- يجب أن أقدم تقريري إلى جلالة القيصر غدا .. وأنا واثق بأن جلالته سيصدر إلي أمره في الحال بإلقاء القبض على "ناتاشا" .

- ولكنك لا تملك أي دليل مادي ضدها ؟

- إن القرائن كثيرة .

- القرائن شيء .. والأدلة المحسوسة شيء آخر .. ولكنني أرجو أن

أضع بين يديك غدا الأدلة المادية على براءة الفتاة ..

فنظر إليه "كوبريان" في ارتياح وقال :

- أصغ إلي يا مسيو "بوريل" ..

إن القضية واضحة جلية . وقد استغرقت من وقتنا ومن اهتمام

جلالة القيصر أكثر مما يجب ، وقد عبر جلالته صباح اليوم عن

ضجره وقلقه . ولما كان لي اعداء يحاولون الانتقاص من مواهبي وكفايتي .. فإنني أرى لزما علي أن أنفض يدي من هذه القضية بأسرع ما يمكن .. وقد طلب إلي جلالة القيصر أن أقدم تقريرا إليه غدا . وفي نية جلالته أن يأخذ بالشدة كل شخص كان له أصبع في المؤامرات التي دبرت ضد الجنرال .. حتى ولو كان هذا الشخص هو ابنة الجنرال .. فمن العبث إذن أن تحاول تبرئة هذه الفتاة . وفي اعتقادي أنك تزيد من مركز سوءا إذا أصررت على مثل هذه المحاولات ..

فهتف "بوريل" :

- أزيد مركز سوءا ؟ إنني لا أفهمك يا مسيو "كوبريان" .

فصمت "كوبريان" لحظة ثم قال :

- ربما استطعت أن أزيد الأمر إيضاحاً غدا . وبحسبي اليوم أن

أقول لك في صراحة إن مركز أصبح مريبا .

- كيف .. هل تعتقد ؟

- أنا لا أعتقد شيئا .. ولكنني أعبر لك فقط عن شعور جلالة القيصر

نحوك .

- شعور جلالة القيصر نحوي ! ولكنني لم أقابل جلالته غير مرة

واحدة .

وكانت المقابلة ودية للغاية .

- هذا صحيح . ولكنه افتقد بالأمس جميع جواهره وامر بتفتيش

امتعتك في الفندق .

- يا للشيطان !

- وأمرني بإرسال جواز سفرك إليه شخصيا .

- إذن فلن أستطيع السفر غدا .

أعتقد أن هناك مفاوضات بين الحكومة الفرنسية والحكومة

الروسية بشأن تسليم "أرسين لوبين" .

- وهل يعتقد جلالته أنني "أرسين لوبين" !

- إن جلالته لا يعتقد ذلك فقط .. بل يعتقد أيضا أن لك صلة بالفوضويين وأنك تعمل على تضليل العدالة .. في قضية الجنرال .
فقهقه "بوريل" ضاحكا وقال :

- يظهر أن جلالة القيصر قد تلقى على يدك درسا في تحقيق القضايا . فهو مثلك يجزم بالإدانة .. دون دليل .
- بل إن تحت يدي جلالته أدلة قاطعة .. أهمها رزمة من رسائل الفوضويين وجدناها في حقيبتك .

فجمد "بوريل" في مكانه لحظة .. ثم استغرق في الضحك .. وهتف :
- إذن قد فتشتم حقيبتى حقا .. ولماذا لم يصدر جلالته أمرا بإلقاء القبض علي ؟

- قلت لك إن الحكومة الروسية تنتظر تعليمات بوليس باريس .
فصمت "بوريل" لحظة ثم قال :

أصغ إلي يا مسيو "كوبريان" .. إن الفوضويين ، عندكم قادرون على عمل المعجزات .. وقد كان خطاب واحد منهم غفل من الإمضاء كافيا لأن يحيل مفتش البوليس "جوستاف بوريل" في نظر القيصر إلى "أرسين لوبين" ..

- لقد أبرقت الحكومة الفرنسية بأن مفتش البوليس "جوستاف بوريل" وجد مقتولا في أحد القطارات .. وثبت أن قاتله من الفوضويين .
وقد القى بنفسه من القطار فتهشمت جمجمته .

- وكيف استولى "أرسين لوبين" على أوراق "جوستاف بوريل" .

- كان مسافرا معه في ذات المركبة .. وكان أحد رجال البوليس السري يتعقبه في مركبة أخرى .. فانتهاز الفرصة وارتدى ثياب "جوستاف بوريل" وحمل أوراقه .. وتمكن بذلك من الفرار .

- هذا تحليل مقبول .. ولكني كما قلت لك رجل لا اقتنع إلا بالدليل الملموس فهل لك أن تستأذن جلالة القيصر في أن أقابله غدا .. لإيضاح موقفى .. وتسليم المجرم الحقيقي في قضية الجنرال "تريباسوف" .
- لا اعتقد أن جلالته سيسمح بهذه المقابلة .

- قل له فقط .. إن "جوستاف بوريل" .. أو "أرسين لوبين" أو ماشئت
من الأسماء يريد أن يضع بين يدي جلالته جميع الثروة التي يملكها
الفوضويون .. ويستخدمونها في محاولة تقويض عرش جلالته .

الفصل العاشر

السم

عندما عاد "بوريل" إلى بيت الجنرال "تريباسوف" في اليوم التالي وجده محاطا بنطاق من رجال "كوبريان" .. دخل المنزل . وعلى شفتيه ابتسامة غامضة .. تنم عن شيء من السخريّة ..

وجد الهدوء يسود المنزل الذي كان في اليومين الأخيرين مسرحا لحوادث تشيب لهولها الولدان .. ورأى "ماترينا يتروفنا" تضع بنفسها مائدة الطعام في مقصورة المنزل .

أشرق وجهها بالابتسام حين وقع بصرها عليه .. فقصد إليها وشد على يدها القوية واستفسر عن الجنرال فقالت .

- إنه أصبح في حالة نفسية حسنة .. وقد أبدى رغبته في أن يتناول طعام الفطور هنا في المقصورة وأنه لا يستطيع أن يعبر لك عن شكره .

- ألم تروا أثرا للضابط "بوريس مورا زوف" ؟

- إنه جاء بالأمس بعد رحيلك . ولكن أحدا منا لم يقابله .

وقد أرسل إلينا في هذا الصباح خطابا يودعنا فيه بمناسبة اعتزامه الرحيل . وذكر في خطابه أنه استقال من منصبه لأن مركزه أصبح لا يطاق بعد حادث مصرع "ميشيل" الذي يقيم معه في بيت واحد .. وبعد التحقيق الدقيق المزري بكرامته .. الذي أجراه معه البوليس أمس .

ولم تكذ "ماترينا بتروفنا" تتم كلامها حتى سمع "بوريل" وقع أقدام على مقربة منه .. فنظر خلفه . ورأى الجنرال مقبلا .. وهو يسير على قدميه .. متكئا على ساعد "ناتاشا" .

كان الجنرال مشرق الوجه خلافا لما كان "بوريل" يتوقع .. أما

ناتاشا . فكانت لاتزال على سحنتها مسحة من القلق والامتقاع .
وقد خيل لـ "بوريل" وهو ينقل البصر بين أفراد هذه الأسرة
الصغيرة أنهم اتفقوا فيما بينهم على نسيان الماضي .
هتف الجنرال :

- اهذا انت يا عزيزي "بوريل" . إنهم لن ينالوني الآن .. فإن في
استطاعتي أن أسير على قدمي .. انظر ..
واخذ يسير في المقصورة جيئة وذهابا دون أن يستند إلى شيء . ثم
ارتقى على مقعد واستطرد :
- نعم .. إنهم لن ينالوني بعد الآن . ولم أعد بحاجة إلى من يتولى
حراستي .

إنني أدعوك إلى تناول كأس من الشراب نخب صحتي أين الشراب يا
ماترينا بتروفنا .. أين الشراب يا "ناتاشا" ؟
وقد لاحظ "بوريل" أن الجنرال إنما يقصد بالحركة والكلام أن يتجنب
التفكير .. ولاحظ كذلك أنه لاينظر إلى وجه ابنته . حتى وهو يتحدث
إليها .

أطرق "بوريل" برأسه في حزن .
قالت "ماترينا" :

- لا شك أن "أورميلوف" قد نسي إحضار الشراب وهمت بأن تنهض .
فقالت "ناتاشا" وهي تبتعد :

- ابقى أنت يا أماء . ساذهب لإحضار الشراب .
فصاح "بوريل" :

- لاتزعجي نفسك يا أنسة .. إنني أعرف وضع كل شيء في هذا
المنزل .

ولحق بها . فلم تترث الفتاة بل واصلت السير وهكذا وصل الاثنان
إلى الغرفة الصغيرة التي تحفظ "ماترينا" فيها زجاجات الشراب .
وكان ذلك كل مايريده "بوريل" :

كان يريد أن ينفرد بـ "ناتاشا" . ولو دقيقة واحدة .

امسك بيدها . فجمدت في مكانها . ووقف الاثنان وجها لوجه . قال لها :

- ارى انك تريدان التحدث إلي .. بدليل انك لم تتجنبني الانفراد بي .. فظهرت على وجهها علامات التردد .. ثم قالت فجأة :
- نعم . اردت فقط ان اقول لك . ارحل عن هذه البلاد بأسرع ما يمكن إذا كنت تريد أن تعود إلى وطنك ورأسك بين كتفيك ..
نعم يا سيدي عجل بالرحيل . وإذا كنت قد اكتشفت أو استنتجت شيئا .. فحاول أن تنساه . وإلا هلكت وتناولت يده فجأة وقالت بشيء من العطف :

- نعم ياسيدي . أتوسل إليك أن ترحل .
فنظر في عينيها الصافيتين ثم قال على حين غرة :
- اصغي إلي يا أنسة ، إنك ستكونين بعد الآن تحت أشد أنواع الرقابة .. فمن ذا الذي سيحل محل "ميشيل كورساكوف" ؟
- اصمت أيها التعس .. اصمت ..
فقال لها في ثبات :
- إنني على استعداد لأن أحل محله .
وكان صوته ينم عن الإخلاص . فاغرورقت عيناها بالدموع في الحال وغمغمت .

- إنك رجل كريم .
وغلّبها الانفعال . فصمتت لحظة ثم استطردت :
- لو أنهم علموا بما تعرضه علي الآن لقتلوك غدا .
فكن على حذر ولا تحاول أن تقابلني أو تتحدث إلي .
والآن يجب أن تعود إلى المقصورة . إنك مكثت هنا كثيرا .
- كلمة أخرى يا أنسة . كلمة واحدة . هل تاكدت الآن أن "ميشيل كورساكوف" هو الذي حاول تسميم والدك ؟
فهزت رأسها وأجابت :
- ليتني أستطيع أن أقطع الشك باليقين في ذلك .

ولكن حدثني يا مسيو "بوريل" الا يمكن ان يكون الشخص الذي حاول تسميم ابي قد دخل من طريق آخر غير طريق النافذة ؟

- لا .. لا .. هذا مستحيل :

- إنهم لا يعرفون المستحيل .

واشاحت بوجهها . ثم اردفت بصوت يدل على قلة الاكتراث :

- خذ .. خذ . يجب ان تحمل زجاجات الشراب مادمتم قد جئتم إلى هنا .

وخرج الاثنان معا .. حاملين زجاجات الشراب .

فصاح بهما الجنرال :

- اقتريا .. اقتريا . لكي أفسر لكما نظام الدولة .

كان الجنرال قد أفرغ محتويات علبة ثقاب وشرع يرتب أعواد الثقاب بعناية .

فانحنى "بوريل" و"ناتاشا" فوقه . وراحا يرقبان طريقته في إيضاح نظام الدولة .

قال :

- هل ترون عود الثقاب هذا ؟ إنه القيصر . وهذا العود هو القيصرة

وهذا هو ولي العهد . وهذه الأعواد هي الأمراء . وهؤلاء هم الوزراء . وهؤلاء هم كبار الموظفين وهذه تمثل الشعب .

والآن هل تريدان يا "ماترينا" بتروقنا ان تعرفي معنى الدستور الذي يطالب به الثوار والفوضويون ؟

قال ذلك وحرك الطاولة فاختلفت أعواد الثقاب بعضها ببعض .

استطرد :

- ها هو الدستور .

فاغرق "بوريل" في الضحك .

قالت "ماترينا" بسذاجة :

- انا لافهم ماذا تعني يا "فيودور" .

فاجاب الجنرال وهو يشير إلى أعواد الثقاب المختلطة :

- ابحثي الآن عن القيصر .
- ففهمت "ماترينا" غرضه . وضحكت . وكذلك ضحكت "ناتاشا" .
- وتناول الجنرال أحد الأقداح التي ملأتها "ناتاشا" بالشراب وقال:
- يخيّل إليّ أن "كوبريان" قد تأخر عن مواعده .
- ونظر في ساعته واستطرد :
- الساعة الآن التاسعة إلا دقيقة .. لقد وعدني بالحضور في الساعة الثامنة والنصف لتناول طعام الفطور معنا .
- فقال "بوريل" وهو يتأمل ساعة الجنرال :
- إنها ساعة ثمينة .
- تعتبر آية في فن الصياغة .
- فاجاب الجنرال :
- لقد ورثتها عن أبي ، وهي تبين حركة الشمس والقمر والفصول وتدقّ بصوت مسموع كساعات الجدران . لنبدأ نحن بتناول الشراب حتى يحضر "كوبريان" .
- فقال "بوريل" وهو يرفع الكأس إلى شفّتيه .
- نخبّ صحتك يا سيدي الجنرال .
- ورفع الجميع كؤوسهم واكتفى كل من "بوريل" و"ناتاشا" بأن بلل شفّتيه . أما الجنرال و"ماترينا" فقد ازدردا محتويات كأسيهما :
- على أن الجنرال ما كاد يرفع الكأس عن شفّتيه حتى سبّ وشتم وبصق بعض ما ازدرده وفعلت "ماترينا" فعله .. وحملقت إلى زوجها في ذعر .
- هتف الجنرال :
- ماذا وضعوا في الشراب ؟
- واحتقن الدم في وجه الجنرال وزوجته فجأة .. وخيل لـ "بوريل" أن عيونهما توشك أن تثب من محاربتها .
- صاح الجنرال :
- لقد سمموني . أشعر كأن النار تلهب حنجرتي .

فوثبت "ناتاشا" إلى أبيها وعلامات الذعر على وجهها وامسكت
براسه بين كفيها وصاحت :

- تقيا يا ابي .. تقيا .

وهتف "بوريل" وهو حائر :

- يجب البحث عن مقيء ..

اما "ماترينا بتروفنا" .. فانها وثبتت من مكانها .. وفرت من المقصورة

وهي تصرخ بصوت المختنق :

- يا إلهي .. يا إلهي !!

وراح الجنرال يصيح : هذا مخيف . هذا مخيف . إنني احترق .

وعادت "ماترينا" بعد لحظة . وفي يدها قنينة صغيرة سكبت

محتوياتها في قدحي ماء .

وقدمت أحد القدحين إلى زوجها وهي تصيح :

- تجرع هذا يا "فيودور" .. تجرع هذا .

وازدردت محتويات القدح الآخر :

كان منظرا مؤلما ومضحكا في وقت واحد . ومما زاد في غرابته أن

الساعة دقت التاسعة في جيب الجنرال .

وكانت "ناتاشا" في هذه الأثناء تبذل قصارى جهدها لإسعاف أبيها .

اما "ماترينا" فقد أنهكها التعب بعد الجهد الذي بذلته لإحضار

السائل المقيء . فسقطت على الأرض ، وهي تئن وتتوجع .

وفي هذه اللحظة .. أقبل "كوبريان" .. وسمع الصراخ .. فخف لنجدة

الجنرال . وتعاون مع "أورميلوف" على نقله إلى فراشه .

واسرعت "ناتاشا" وطلبت إلى أحد رجال الشرطة أن يدعوا طبيبا

على عجل .

وعندما عاد "كوبريان" ليحمل "ماترينا" إلى فراشها .. لم يجد أثرا لـ

"بوريل" أو الكؤوس الأربعة .. التي كان بها الشراب .

الفصل الحادي عشر مع القيصر

- أين كنت ؟
- كنت أتنزه على ضفاف نهر "نيفا" .. وأحاسب نفسي .. وأفكر..
- يا إلهي .. لقد خفت الاتصال في الوقت المناسب لمقابلة القيصر .
- اطمئن .. وانت ماذا فعلت ؟ هل القيت القبض على "ناتاشا" ؟
- بالتأكيد ، هل ثمة شك بعد حادث هذا الصباح في أنها حاولت
تسميم أبيها للمرة الثانية ؟ ولكنك لم تسألني عن حال الجنرال
وزوجته ؟

فابتسم "بوريل" وأجاب :
- انا واثق بأنهما بخير حال .
فدهش "كوبريان" وقال :
- وكيف علمت ؟
- من كؤوس الشراب .
وارتسمت على شفتي "بوريل" ابتسامه غامضة ، فاطرق "كوبريان"
براسه لحظة ثم نظر في ساعته وقال :
لم يبق على الموعد الذي حدده جلاله القيصر لمقابلتك غير بضعة
دقائق ، فهل بنا .

وغادر الرجلان إدارة البوليس ، واستقلا إحدى المركبات وأمر
"كوبريان" السائق بأن ينطلق بهما إلى القصر الامبراطوري وحاول في
أثناء الطريق أن يستدرج "بوريل" إلى الكلام فقال له :
- إن جلاله القيصر حانق عليك .. فكن على حذر ، إنه لم يوافق على
مقابلتك إلا عندما ذكرت له أنك جردت الفوضويين من أموالهم .

وستقدمها إلى جلالته ...

فاجاب "بوريل" مقتضبا :

- إنني عند وعدي لجلالته .

- هل جئت معك بهذه الاموال ؟

- بالتأكيد ..

فصعد "كوبريان" بنظرة فاحصة . وساله :

- كم تبلغ ؟ إن الرأي السائد في دوائر البلاط أن الفوضويين يملكون

ثروة طائلة لاتقل عن عشرة ملايين روبل .

فهتف "بوريل" :

- ماذا تقول ؟ عشرة ملايين روبل ! إنك تبالغ يا مسيو "كوبريان" .

فانا لم أجد أكثر من مائة روبل .

فصاح "كوبريان" بصوت المختنق .

- مائة روبل ! هل جننت يا هذا . اتقول للقيصر كذبا إن ..

- أؤكد لك انني احمل في جيبى كل اموال الفوضويين .. وهي

لاتتجاوز مائة روبل ..

فنظر "كوبريان" إلى ساعته . وقال وهو يتحرك في مقعده بقلق :

- يا للسبماء . إن الوقت لا يتسع للاعتذار عن هذه المقابلة .

فقال "بوريل" بهدوء :

- ولماذا نعتذر . إن جلاله القيصر في اشد الشوق إلى مقابلتي -

أيها الشقي . أيها المحتال . اتسخر مني . كيف نزعم انك استوليت

على كل ثروة الفوضويين . وان هذه الثروة لاتتجاوز مائة روبل ..

- أؤكد لك انني لم أجد عند القائم بوظيفة أمين صندوق اللجنة

المركزية أكثر من مائة روبل .

- يا إلهي . ماذا يقول جلاله القيصر ! وكيف يصدقني بعد الآن؟

- سوف يعتقد جلاله القيصر بعد أن أتشرف بمقابلته أنه أصلح

رجل في روسيا يتولى إدارة البوليس .. وفقط أحب أن أهمس في أذنك بكلمة .

فحنى كوبريان رأسه وهو مشئت البال . لا يذري ما هو فاعل فهمس بوريل في أذنه :

- يجب أن تطلق سراح "ناتاشا" بأسرع ما يمكن . فصاح كوبريان في غضب :

- قبحك الله . الاتكف عن هذه السخرية .

- وكلمة أخرى أحب أن تسمعها . لكي يعتقد جلاله القيصر أنك رجل بعيد النظر تعرف كيف تحل القضايا العويصة وتسهر على حياة خدمه المخلصين .

فحنى كوبريان رأسه مرة أخرى . فهمس بوريل في أذنه :

- يجب أن تلقي القبض على "ماترينا بتروفنا" بأسرع ما يمكن ولولا أن المركبة وقفت بباب القصر في تلك اللحظة لما تردد كوبريان في الانقضاض على عنق ذلك الشيطان الساخر وبعد بضعة دقائق .. كان "جوستاف بوريل" جالسا في غرفة الانتظار المجاورة لمكتب القيصر .

كان يعرف تلك الغرفة حق المعرفة منذ الزيارة الأولى .

أما كوبريان .. فإنه راح يدور حول الغرفة في قلق .. وهو مقطب الحاجبين .. وقد أدرك بوريل سر قلقه .. فابتسم .

كان بدوره قد قضى يوما من اتعس أيام حياته وقد عصر ذهنه في ذلك اليوم كما لم يفعل في أخرج ساعات مرت به في حياته الحافلة بالمغامرات .

نعم . إنه قضى ذلك اليوم وهو يسائل نفسه :

ترى هل كان ميشيل كورساكوف بريئا حقا وكان الذي دس السم للجنرال هو شخص آخر سواه !

وإلغما معنى هذه المحاولة الثانية لتسميم الجنرال وزوجته .

ولم ينقذه من الازمه النفسانية التي اصابته إلا سماعه دقات إحدى الساعات .. وتذكره ساعة الجنرال تريباسوف كان "بوريل" يفكر في كل هذا حين اقترب منه كبير الأمناء .. وقال له بصوت خافت :

- إن جلالة القيصر ليس الآن في أفضل حالاته النفسانية ويحسن ان تختصر المقابلة ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، لأن جلالته قد ضرب موعدا في منتصف الساعة السادسة لمقابلة سفير البانيا . ها هو سعادة السفير قد أقبل .

واوما كبير الأمناء إلى رجل متوسط القامة دخل الغرفة في تلك اللحظة وخلع معطفه وثبته في مكان خاص . وجلس في أحد المقاعد .

وفي تلك اللحظة دق جرس الغرفة ، فأسرع كبير الأمناء إلى مكتب القيصر وغاب بضع ثوان . ثم عاد واوما إلى "بوريل" أن يتبعه . فنهض "بوريل" واقفا . وخلع معطفه . ووضعه بجانب معطف السفير الألباني . ثم خلع قبعته . ودخل مكتب القيصر كانت غرفة المكتب مؤثثة ببساطة . فهي لا تحوي أكثر من طاولة للكتابة ودولاب للكتب وبضعة مقاعد . وقد زينت جدرانها بصورة القيصرة وأولادها . وقد كانت نظرة واحدة إلى وجه القيصر كافية لأن تشعر "بوريل" بأنه ليس في أحسن حالاته .

كان وجه القيصر في الأحوال العادية يبدو هادئا باسما .. ولكنه كان في تلك اللحظة متجهما تدل تقاطيعه على الصرامة أشعل القيصر لفافة تبغ وقال وهو يصعد "بوريل" بعينين في نظراتهما شيء كثير من الفضول .

- يجب أن أقول لك يا سيدي إنني غير راض عن سلوكك وانك لو كنت من رعاياي لبعثت بك في رحلة إلى سيبيريا . فقال "بوريل" وهو يحني قامته بخضوع :

- إنني عانيت في هذه الأيام يا مولاي أكثر مما يعاني نزلء المنفى .
- أرجو ألا تقاطعني يا سيدي ، والاتكلم إلا إذا سالتك .
- عفوا يا مولاي .
- يجب ألا تتوهم أنك استطعت أن تخدعني بالسبب الذي اخترعته لكي أسمح لك بمقابلتي .
- إنني لم اخترع ..
- أرجو ألا تقاطعني يا سيدي .
- عفوا يا مولاي .
- يجب أن أقول لك إن حيلك ومناوراتك إذا كانت تجوز على مواطنيك في فرنسا فإنها لا تجوز علينا .
- مولاي ..
- فانت قد دخلت هذه البلاد منتحلا شخصية غير شخصيتك الحقيقية ومنتظاها بأنك من رجال البوليس في حين أنك ..
- إنني يا مولاي ضحية مؤامرة دبرها الفوضويون ضدي لكي يجلبوا علي سخط جلالتك .
- هل تعني أنك لست .. لست المدعو "أرسين لوبين" ..
- فحنى "بوريل" قامته باحترام وأجاب :
- إنني أتشرف بأن أكون خادمكم "جوستاف بوريل" مفتش البوليس إلى أن تثبت المخبرات مع الحكومة الفرنسية غير ذلك .
- مهما يكن من أمر فإنك جئتنا لتساعدنا ضد أعدائنا . ولكن اعداءنا وجدوا فيك أعظم عون على إنفاذ تدابيرهم الإجرامية .
- من ذا الذي يتهمني يا مولاي ؟
- لقد شكنا إلينا "كوبريان" .. مدير شرطتنا من أنك بذلت قصارى جهدك لعرقلة أعماله وتعطيل سير العدالة . فبدأت بتسريح رجاله ..
- وبذلك منعه من أن يحول بين اتصال ابنة الجنرال "تريباسوف"

بالمجرمين الذين يحاولون اغتياله . وكادت تقع جريمة قتله بالسسم ،
لولا عناية الله بهذا الخادم الأمين .

ولما أراد القبض على "ناتاشا" اوهمته بانها بريئة ، ووعدته بان
تقدم له المجرم الحقيقي قبل انقضاء أربع وعشرين ساعة ، وفي خلال
هذه الساعات الأربع والعشرين . وقعت المحاولة الثانية ضد
"تريباسوف" المسكين .

فهذه كلها يا سيدي محاولات إجرامية ضد سلامة الدولة وسلامة
رجالها . وهي محاولات تستحق اشد أنواع العقاب .

إنك وعدتني يوماً بإنقاذ حياة الجنرال "تريباسوف" . ولكنك كنت
عونا للاشقياء وكان سلوكك اشد تعاسة وفظاعة من سلوك "ناتاشا"
فيودور .

وصمت القيصر .. ونظر إلى "بوريل" بعينين ثاقبتين .. فلم يغض
"بوريل" الطرف .
قال القيصر :

- بماذا تجيب ؟ تكلم .

- إنني وعدت جلالتك بإنقاذ حياة الجنرال "تريباسوف" .. وقد
انقذتها .. فهو الآن في مامن من كل خطر .

وإذا سمحتم لي جلالتك فأئنني أنتهز هذه الفرصة لأقول إنه لا
يوجد في العالم كله فتاة تخلص لأبيها .. وتفتديه بحياتها وهي
راضية ناعمة البال ، كما تخلص "ناتاشا" لأبيها .

هذه الفتاة بريئة وطاهرة الذيل من كل ما نسب إليها يا مولاي .

- كن على حذر يا سيدي ولا ترسل الكلام على عواهنه ، لأنني
اهتممت بدراسة هذه القضية شخصياً لاتصالها بحياة ضابط عظيم
من اخلص الجنود لعرشي .

فهل لديك الدليل على صحة ما تقول ؟

- نعم يا مولاي .

- وأنا املك الدليل على أن "ناتاشا فيودور" هي مجرمة تغسة .

- كلا يا مولاي .

فنهض القيصر وقد احمر وجهه غضبا ولكنه سرعان ما ملك نفسه ..
ففتح أحد أدراج مكتبه ، واخرج منه حزمة من الاوراق ..
قال :

- ها هي الادلة ، وقد وجدت في حقيبتك بالفندق الذي تقيم فيه وقد
ظن أولا انها دليل على اتصالك بالفوضويين ولكني اهتممت بفحصها
ودراستها بنفسي .

فانحني "بوريل" فوق حزمة الاوراق ونظر بإمعان .
قال القيصر :

- إنك لاتفهم اللغة الروسية يا سيدي . فهل تامر بترجمة هذه
الاوراق لتعرف مضمونها .

إنها تتضمن رسائل متبادلة بين "ناتاشا فيودور" واللجنة المركزية
للثوار . ويفهم من هذه الرسائل أن ابنة الجنرال كانت على تمام
الاتفاق مع أعداء أبيها لتنفيذ خططهم الذميمة .
- أي لقتل الجنرال ؟

- نعم ..

- أوكد لمولاي ان هذا مستحيل ..

- انت رجل عنيد . ساتلو عليك مضمون هذه الاوراق :

- لافائدة من ذلك يا مولاي .. إنني كنت اول من حصل على هذه
الوثائق . ولم أتمكن من معرفة مضمونها لسوء الحظ . لانها اخذت من
حقيبتني بأمر مولاي . ولكني واثق يامولاي بان "ناتاشا فيودور" لم
تتامر مع أعداء أبيها لقتله ، وان هذه الوثائق إذا كانت تتضمن امرا
خطيرا فمضمونها لايعدو ان يكون مشروع مؤامرة . وان من دواعي

دهشتي أن يكون أولئك الفوضويون الأشقياء قد سجلوا على الورق أن "ناتاشا" اتفقت معهم على تسميم أبيها .

- الواقع أنهم لم يسجلوا ذلك في هذه الوثائق . لأن تسجيل هذه الأمور على الورق يتنافى مع أبسط مبادئ الحنكة والحذر .
بيد أن ذلك لا يمنع من القول بأن "ناتاشا فيودور" كانت على اتفاق مع الفوضويين .

- هذا صحيح .

فقال القيصر بحدة :

- آه . أنت تعترف إذن .

- أنا لا اعترف يا مولاي .. ولكني أقرر فقط أن "ناتاشا" كانت على اتفاق مع الفوضويين ..

- وبذلك مهدت السبيل لأولئك الأشقياء لكي يفتكوا بحاكم موسكو .

- مولاي .. إذا كانت "ناتاشا" قد اتفقت مع الفوضويين فليس ذلك لكي تقتل أباهما .. وإنما لتنقذه .. وهذه الأوراق إذا كانت تتضمن مشروع اتفاق .. فهو مشروع لوقف المحاولات والتدابير التي يراد بها قتل الجنرال .

- ماذا تقول ؟

- إنني أقول الحقيقة يا مولاي .

- واين أدلتك ؟ اين براهينك ؟ أرني ماعندك من الأوراق والوثائق -

ليست عندي أوراق او وثائق يا مولاي ، ولست أملك غير لساني .

- ذلك لا يكفي .

- ذلك يكفي إذا تفضل مولاي بالإصغاء إلي ..

مولاي .. قبل أن أميط لجلاتكم اللثام عن سر تتوقف عليه حياة

الجنرال "تريباسوف" أرجو أن يسمح لي مولاي بإلقاء بضعة أسئلة :

.. هل تقيمون جلالتم وزنا لحياة الجنرال "تريباسوف" .

- ماذا تعني ؟

- عفوا يامولاي . إنني التمس معرفة رأي جلالكم في هذه النقطة .

- إن الجنرال "تريباسوف" قد دافع عن عرشي وانقذ الامبراطورية من خطر من أشد الأخطار التي استهدفت لها في كل تاريخها .

فإذا جوزي هذا الخادم المخلص على خدماته بالموت فإنني لن أتذوق للطمأنينة والسعادة طعما ..

- إنني أفهم من جواب جلالكم عن سؤالي أنكم لاتستكثرون أية تضحية لإنقاذ حياة الجنرال ، وأنكم على استعداد لشراء حياته بأي ثمن .

- اه .. هل يريد أولئك السادة مساومتي ؟ .. إنهم بحاجة إلى المال بغير شك ..

كم يطلبون ثمنا لراس الجنرال ؟

- مولاي .. إذا كانت هناك أية مساومة من هذا النوع .. فإنني لست بالرجل الذي يعرضها على جلالكم .

على أن الأنسة "ناتاشا" قد فكرت في مثل هذه المساومة .. ورات - وهي الفتاة المخلصة المحبة لأبيها - أن أفضل وسيلة لإنقاذ الجنرال من المتاعب والمؤامرات والقتل هي أن تبتاع حياته بالمال .. فعرضت على الفوضويين كل ثروتها في مقابل أن يتركوا أباهم وشانه .

- كل ثروتها ؟ ولكنها لاتملك شيئا .

- إنها سوف تملك كل ثروة الجنرال بعد وفاته .. وقد بدأت المساومة على أن تتنازل للجنة المركزية للثوار عن نصف ثروتها يوم يموت أبوها ميتة طبيعية .. ولكنها عندما اتصلت بالثوار لإبرام هذه الصفقة .. أرغموها تحت تأثير التهديد بالقتل على توقيع صك بالتنازل عن كل ثروتها للفوضويين .. بشرط أن يترك الجنرال وشانه حتى يختطفه الموت .

فنهض القيصر واقفا .. وهتف وعلى وجهه علامات الانفعال الشديد:

- كل ثروتها للفوضويين ؟ ماذا تقول يا هذا ؟ كل ثروة الجنرال للفوضويين ؟
إذن فقد اصبح اعدائي اغنياء .

- مولاي . إنني انهيت إلى جلالكم هذا السر الذي تتوقف عليه حياة الجنرال "تريباسوف" .. فالفوضويون سوف لايتامرون على حياة الجنرال ، وسوف لايلحقون به اذى او ضرا .. طالما أن ثروته لن تعود إليهم إلا إذا مات ميتة طبيعية فصك نزول "ناتاشا" عن ثروتها في الواقع صك تامين على حياة ابياها ..

ولقد وعدت بان اضع بين يدي جلالكم كل ثروة الفوضويين .. والفوضويون لايملكون غير ثروة "ناتاشا" ومبلغ مائة روبل وجدها في بيت الضابط "ميشيل كورساكوف" .. عندما قمت بزيارة ليلية لمنزله .. وحملت معي جميع اوراقه التي ضبطها مسيو "كوبريان" في حقيبتي وحسب انها دليل على وجود صلة بيني وبين الفوضويين .

ولم يتسع لي الوقت لدراسة هذه الاوراق لانني لافهم اللغة الروسية.. بيد انني استطعت بالاستعانة باحد قواميس اللغة أن اكتشف في هذه الاوراق اكثر الحقائق التي تهمني ، ومن الحقائق التي وقفت عليها أن الضابط "ميشيل كورساكوف" ياور الجنرال لم يكن فقط من الفوضويين الخطرين .. بل كان كذلك امينا لصندوق اللجنة المركزية الثورية .

اما صك نزول "ناتاشا" عن ثروتها .. فلم اجد في اوراق "ميشيل" .. بل وجده في جيبه حين سقط قتيلا برصاص رجال الشرطة .. وساعدتني الظروف فكنت اول من وصل إلى مكان الجثة .. واستطعت بذلك أن افتش "ميشيل" قبل أن يصل "كوبريان" ورجاله .

وها هو الصك يا مولاي .. وها هو مبلغ المائة "روبل" .
وقدم "بوريل" الصك والورقة المالية إلى القيصر .. فتناول جلالته
الصك بلهفة .. وقراه بإمعان .. ثم وضعه على مكتبه .. وضغطه
بإصابعه .. وارتسمت على وجهه علامات التفكير العميق . قال
"بوريل" :

- لقد كشفت لمولاي هذا السر الخطير من أسرار الفوضويين ..
وإنني أترك لجلالته حرية التصرف به كما يشاء .. ولكن إذا سمح لي
مولاي بإبداء رأيي ، والرأي الأخير لجلالته ، فإنني أقترح أن ترد
"ناتاشا" هذا الصك إلى الفوضويين ، وأن يبقى أمر هذه المساومة
مكتوما .. فذلك أفضل وسيلة للمحافظة على حياة الجنرال
تريباسوف الذي يهم جلالتهم ألا يجازى على خدماته لعرشكم جزاء
سمنار ، ومن المهم كذلك ألا يعلم الجنرال نفسه بهذه المساومة لأنه إذا
علم اتخذ الإجراءات لحرمان ابنته من الميراث حتى لا تقع ثروته في
أيدي أعدائه .. ولعن ابنته التي أنقذته .. واستهدف من جديد لمؤامرات
أعدائه وأعداء عرشكم .

نعم .. الرأي يامولاي أن نترك للآنسة "ناتاشا" حرية التصرف ..
ولتذهب ثروتها إلى الفوضويين حين يموت أبوها ميتة طبيعية .
وكف "بوريل" عن الكلام .. ونظر إلى وجه القيصر ليرى تأثير هذا
الاقتراح ولكن التأثير كان سيئا .. لأن القيصر قطب حاجبيه .. وامعن
في التفكير .

وساد صمت عميق .. لم يجسر "بوريل" على أن يقطعه .. واضطر أن
ينتظر ..

وأخيرا أخذ القيصر يسير في الغرفة جيئة وذهابا .. ثم وقف لحظة
أمام النافذة . وحيا بيده ولي عهد الذي كان يلعب وقتئذ في حديقة
القصر مع شقيقاته .

وعاد إلى "بوريل" وألقى بيديه على كتفيه بلطف وسأله :

- ولكن كيف علمت كل هذا ؟ وإذا كان صحيحا ماذكرت .. فمن ذا

الذي حاول إذن أن يسمم الجنرال وزوجته في صباح اليوم؟

- إن "ناقاشا" ملاك طاهر يا مولاي .. ليس فقط لأنها نشأت في عز

ورفاة ثم ضحت برفاهيتها وسعادتها وثروتها من أجل حياة أبيها ..

وإنما كذلك - وهو ما اعتبره غاية النبل والشهامة - قد كتمت سر

تضحيتها وأصرت على الكتمان رغم كل إنسان .. لأن هذا الكتمان كان

جزءا أساسيا في التضحية .

إنها كتمت السر وأصرت على الكتمان .. وتركت لأبيها أن يظن

الظنون في إخلاصها وطهارتها حين كان في استطاعتها أن تبرىئ

نفسها بكلمة واحدة .

وكتمت السر عن خطيبها الذي تحبه والذي توسلت إليه أن يعفيا

من وعدا وأن يفسخ الخطبة .. حتى لاتزف إليه فقيرة معدمة وهي

التي يعتقد في غناها وواسع ثروتها .

كتمت السر ولا تزال تكتمه وهي في أعماق السجن .. وسوف تظل

تكتمه ولو أرسلت إلى المنفى في سيبيريا .

كل ذلك لأنها تعتقد أن الكتمان مهما ترتب عليه من عذاب وإذلال

ومهانة لها .. هو الزم ما يكون لسلامة أبيها .

تلك هي يا مولاي الفتاة التي يتوهم مسيو "كوبريان" أنها حاولت

اليوم تسميم أبيها وزوجته .

- ولكن أنت .. كيف وقفت على هذا السر المكنون الذي تعنى

صاحبه كل هذه العناية بكتمانه ؟

كان بحسبي أن انظر في عينيها يا مولاي .. وأن أرقبها خلصة حين

كانت تعتقد أنها في خلوة .. وأن أحدا لا يراها كان بحسبي أن أقرأ

على وجهها مزيج الذعر والحب وأن أراها وهي تنظر إلى أبيها .

لقد مرت لحظات يا مولاي . كنت أرى فيها على وجه هذه البنية من علامات الإخلاص ما لا يرى إلا على وجوه الشهداء والقديسين .

إنني وقفت على سرها من مجرد النظر إليها ، ومن بعض فلتات لسانها ، ومن الموازنة بين مالها وما عليها .

لقد كنت أرى من أمرها ما لا يستطيع أن يراه أولئك الذين قطعوا في أمرها برأي ، واستقرت في أذهانهم فكرة إدانتها .

ولماذا قطع الآخرون بإدانتها ؟ لأن اتصالها بالفوضويين أثار فوراً فكرة تأمرها معهم . ولهذا لم يكن متهموها ينظرون إلى المسألة إلا من وجه واحد . في حين أنها كانت كغيرها من المسائل ذات وجهين .

كانوا جميعاً على يقين من أن للفتاة صلة بالفوضويين . وقد قامت لديهم الأدلة على ذلك . ولكنهم لم يسألوا عن سبب هذه الصلة . واستقر في أذهانهم أن الغرض هو التآمر على حياة الجنرال ولم يخطر ببالهم أن الغرض ربما كان إنقاذ حياة الجنرال .

إن الإنسان إذا اتصل بواحد من الأعداء . فليس معنى ذلك حتماً أنه يريد العمل معه . إذ قد يكون الغرض تجريد هذا العدو من سلاحه .. بإغرائه أو مساومته والتعاقد معه .

وقد كنت الوحيد الذي عني بفحص المشكلة من وجهيها . ولم تدم حيرتي طويلاً . لأن مظهر "ناتاشا" دلني على براءتها . ولأنني كنت أقرأ في عينيها كل معاني الحب والظهر استوثقت بأن "ناتاشا" على اتصال بالفوضويين وادركت أنها تتفاوض معهم . وتساهمهم على حياة أبيها فسالت نفسي ماذا تستطيع الفتاة أن تعطي ثمناً لحياة أبيها .

لأشياء غير الثروة التي ستؤول إليها بعد وفاته . وقد سمعت في أحد الأيام حديثاً دار بينها وبين خطيبها "بوريس موزاروف" وطرقت أذني من هذا الحديث بعض عبارات عن استحالة عقد الزواج في وقت قريب وعن الفقر الذي يحل بأحد الناس بعد الغنى والرفاهية .

ووجوب العدول عن خطبتها وفهمت أن الاتفاق تم على أن يفسخ الشاب الخطبة في ذلك المساء . ولكن الظاهر أن قلبه لم يطاوعه . ولم يحضر في المساء كما وعد الفتاة . ولعله أراد أن يترك لها فرصة أخرى للتفكير قبل أن تقضي على سعادتها وسعادته .

كنت واثقا بأن المفاوضات بين "ناتاشا" ومندوب الفوضويين ستجري في منزل الجنرال نفسه . وكان من المستحيل أن تجري المفاوضات في أي مكان لسبب آخر لسبب معقول هو شعور "ناتاشا" بوجودها تحت مراقبة رجال "كوبريان" وشعور "ميشيل كورساكوف" بأن "بوريس" يراقبه مراقبة شديدة بدافع الغيرة .

وبمناسبة الكلام عن "ميشيل كورساكوف" . أقول إن هذا الداهية أراد أن يخون الجميع ، وأن يقوم بدور لحسابه الخاص لكي يخرج من الصفقة بنصيب الأسد .

وفي اعتقادي أن ميشيل لم يعترف لـ "ناتاشا" منذ البداية بأنه أداة في أيدي الفوضويين وأغلب الظن أنه شجع الفتاة في أحد الأيام على أن تصارحه بخواطرها وأن تعبر له عما ارتأته من وجوب التعاقد سرا مع أعداء أبيها لإنقاذه .. ولأريب أن "ميشيل" ظهر أمام الفتاة عندئذ في ثوب الرجل الباسل فعرض عليها أن يكون وسيطا بينها وبين الفوضويين ، ثم ذهب إلى مغائرهم حيث استكتبوها صك القنازل عن كل ثروتها .

والظاهر كذلك أن ذهن "ميشيل" تفتق عن حيلة جديدة فقال لنفسه .. لماذا لا أقترن بـ "ناتاشا" وأفوز وحدي بثروتها بعد وفاة أبيها ؟ وهكذا راح يعبر لها عن حبه وإخلاصه .. ثم طلب إليها أن تقترن به ..

ولم يكن في عزمه بالتأكيد أن يقترن بفتاة فقيرة . فاحتفظ معه بالصك ، ولعله كان يريد أن يتخذ منه دائما سلاحا لإرهابها .

ومهما يكن من أمر فإنه وجد أن الجنرال إذا مات ميتة غير طبيعية فإن ثروته تؤول إلى "ناتاشا" دون غيرها ، وبالتالي تؤول إليه بعد زواجه منها .

وهكذا .. كانت الفتاة تعتقد أن "ميشيل" يعمل من أجلها ، في حين أنه لم يكن يعمل إلا من أجل نفسه .

وقد دلتني الآثار التي وجدتتها في الليلة التالية لحادث التسمم الأول على أن الشخص الذي دخل المنزل في تلك الليلة وسكب السم في كأس الجنرال هو بعينه الذي اعتاد دخول المنزل خلسة قبل ذلك .

وقد خطر لي يومذاك أن أقابل "ناتاشا" وأن أحذرهما من ذلك الوسيط . وأن أضع نفسي في خدمتها وأقوم بينها وبين الفوضويين .. ولكن شاعت الأقدار ألا أتمكن من الانفراد بها .. ثم شاعت الأقدار أن يرتاب "كوبريان" في حسن نواياي ، وأن يذهب ورجاله لحراسة المنزل ، وأن يفتك بـ "ميشيل" وهو يحاول مقابلة "ناتاشا" .

وهنا صمت "بوريل" .

كان القيصر قد سمح له بالكلام فلم يقاطعه ، بل أصغى إليه بانتباه لكي يزن براهينه واستدلالاته بميزان المنطق .

قال القيصر فجأة وقد لمعت عيناه .

- هل من المعقول أن تكون "ناتاشا" بريئة كل البراءة من التآمر مع "ميشيل" ضد أبيها .. وهي التي كانت تفتح له النافذة ليلاً .. وقد فتحتها في ليلة المحاولة الأولى .

- إنها تركت النافذة مفتوحة يامولاي لأنها كانت على موعد معه . وقد ذهب "ميشيل" إلى المنزل في تلك الليلة . ولكنه لم يقابل "ناتاشا" . بل ذهب لقتل أبيها . ووصل إلى غرفة الجنرال بفضل الطريقة التي وصل بها أولاً . حين كان الفوضويون يريدون قتل الجنرال قبل أن تبدأ "ناتاشا" مساومتها معهم . أعني حين وضع القنبلة في أنية الأزهار

بغرفة الجنرال فهز القيصر رأسه بارتياح وقال ببرود :
- إنك شديد الحماسة للآنسة "ناتاشا" . ولكني قد أفهمك وأصدقك
إذا قلت لي لماذا حاولت هذه الفتاة تسميم الجنرال وزوجته بأن
وضعت لهما في الشراب نفس السم الذي استخدم في المحاولة الأولى.
وأعني به محلول الزرنيخ .. كما قرر ذلك الطبيب الذي أسعف الجنرال
وزوجته ؟

فاجاب "بوريل" :

- نعم يا مولاي . إن السم الذي استخدم في المحاولة الثانية وهو
محلول الزرنيخ الذي استخدم في المحاولة الأولى وقد اثارته هذه
المحاولة الثانية ريبتي وشكوكي . لأنها جلبت استنتاجاتي
واستدلالاتي راسا على عقب .. وأشعرتني بالقلق ووخز الضمير ..
وجعلتني أتوهم أن "ميشيل كورساكوف" كان بريئا .

ولكني عندما عصرت فكري ، واستعرضت دقائق الحادث ، تبين لي
أن "ناتاشا" بريئة من هذه التهمة ، كما كانت بريئة من التهم السابقة .
- وكيف ذلك ؟

- إن في أكثر المسائل المهمة يامولاي نواحي دقيقة إذا أغفلت أدى
إغفالها إلى أسوأ النتائج .. وفي تحقيق الجرائم الهائلة .. يتعين على
المحقق ألا يغفل أدق الملاحظات وقد هدتني إحدى الملاحظات القافية
في حادث التسميم الثاني إلى معرفة حقيقة لم تكن تخطر لي على
بال ..

كان حول المائدة عندما وقع الحادث أربعة أشخاص هم الجنرال
وزوجته .. والآنسة "ناتاشا" وخادمكم المائل أمامكم وقد أصيب
بالتسمم اثنان فقط من الأربعة .. ولم يصب الاثنان الآخران بسوء.

ومن البديهي أن الجنرال لم يشأ تسميم نفسه .. وأن زوجته لم تشأ
تسميم نفسها .. وانني لا أريد تسميم أحد .. فلم يبق إذن إلا أن تكون

"ناتاشا" هي التي وضعت السم .. وفي هذه الظروف لا توجد إلا حالة واحدة نستطيع فيها أن نعتبر "ناتاشا" غير مذنبه..

فقال القيصر :

- إن كلامك لا ينطبق على المنطق . ولكنه يثير فضولي .
- والحالة التي اتكلم عنها هي حالة عدم تسمم أحد .

فصاح القيصر :

- ولكن قد ثبت وجود السم .
- إن وجود السم يامولاي لا يدل على شيء أكثر من أنه موجود ولكنه لا يدل على جريمة .

وقد حملت الكؤوس الأربع عقب الحادث مباشرة إلى كيميائي من أبرع المشتغلين بالكيمياء في هذه المدينة . فاثبت التحليل وجود محلول الزرنيخ في كأسين منها .

وقد كان محلول الزرنيخ موجودا عند "ماترينا بتروفنا" منذ الحادث الأول . ومن المحتمل أن تكون قد احتفظت بجانب منه . ولكني لم أفطن إلى ذلك بادئ ذي بدء ، وإنما فطنت إليه فقط عندما تذكرت دقائق ساعة الجنرال .

تناول الجنرال كأسه قبل الساعة التاسعة بدقيقتين وفي الساعة التاسعة تماما .. كانت "ماترينا بتروفنا" واقفة أمامه .. وفي يدها السائل المقيئ .

- وماذا فهمت من ذلك ؟

- إن دولا ب الادوية والعقاقير في منزل الجنرال موضوع في الطابق الأول .. ودقيقتان أو على الاصح دقيقة ونصف .. هي مدة لاتكفي سيدة بدينة مترهلة الجسم مثل "ماترينا بتروفنا" لكي تصعد إلى الطابق الاول ، وتفتح دولا ب العقاقير الطبية . وتبحث عن المادة المقيئة ثم تهبط السلم وتصل إلى المقصورة .

ففتح القيصر عينيه في دهشة وقال :

- هذا صحيح ..

- إنني تذكرت هذه الحقيقة وأنا أسير على ضفة نهر "نيفا" ويرجع الفضل في أنني تذكرتها إلى ساعة سمعتها تدق دقات شبيهة بدقات ساعة الجنرال .

ولما كنت قد صعدت إلى الطابق الأول في بيت الجنرال مئات المرات ، فإنني استطعت تقدير مسافة السلم والبهو .
فأخذت أعدو على ضفة النهر بمقدار المسافة وقطعتها في دقيقتين ونصف .

ومتى أضفنا إلى ذلك أنه كان يتعين على "ماترينا بتروفنا" أن تضيع بعض الوقت في فتح الأبواب والدولاب والبحث عن المادة المقيمة ، وأضفنا إلى ذلك أنها ثقيلة الحركة وأنا خفيفها وجدنا أن هذه السيدة لم تصعد إلى الطابق الأول قط لأن الوقت الذي استغرقه غيابها عن المقصورة لم يكن كافيا للصعود والعودة .

ومعنى ذلك أنها أعدت هذه المادة واحتفظت بها معها قبل حدوث التسمم .

- يا لله !

- وإذن فقد كذبت "ماترينا" . ودبرت حادث التسمم .

ولكن دون أن تنوي القتل . ولاشك أنها انتهزت فرصة انشغال زوجها بأعواد ثقاب كان يعبث بها . فسكبت قطرة من السم ، قطرة واحدة في كل من الكاسين .
فهتف القيصر .

- هذا مخيف .. ولكن ماذا كان غرضها من ذلك ؟

- كان غرضها يا مولاي أن تتجنب وقوع جريمة حقيقية .. كان غرضها أن تعمل على إبعاد "ناتاشا" من المنزل إلى الأبد .. لاعتقادها أن

الفتاة لاتتورع عن ارتكاب أفظع الجرائم .

- ولكن هذا مخيف .. لقد قال لي "فيودور تريباسوف" مرارا إن زوجته تحب "ناتاشا" حب العبادَة .

- لقد ظلت تحبها بإخلاص يا مولاي .. إلى أن كان اليوم الذي اعتقدت فيه أن الفتاة تتامر على حياة الجنرال لم تكن هناك أية قوة تستطيع إقناع "ماترينا بتروفنا" بأن "ناتاشا" بريئة من تهمة الاشتراك مع "ميشيل كورساكوف" في محاولة تسميم الجنرال .

وقد أذهلها وأزعجها ورايها مارات من استعداد زوجها للصفح عن "ناتاشا" ، فاصطنعت الجريمة لتبعد الفتاة .

- هل تعتقد أن "ماترينا بتروفنا" تعترف بذنبها إذا واجهناها بهذه الحقائق؟

- أنا واثق بذلك يا مولاي .. ولذلك طلبت من مسيو "كوبريان" أن يذهب لاستدعائها .

- إنك تفكر في كل شيء يا سيدي .

ومد القيصر يده .. ليقرع الجرس فهتف "بوريل" .

- لي رجاء يا مولاي . هو أن تتكرم بإعفائي من رؤية هذه السيدة في موقف الاتهام .. ثم لي سؤال آخر .. هو ماذا تنوي أن تفعل يا مولاي؟

فظهر على القيصر أنه لم يسمع جيدا أولم يفهم جيدا وشعر "بوريل" بأنه كان جريئا أكثر مما يجب فاستدرك قائلا :

- عفوا يا مولاي . إنني بسطت على مسامع جلالتك نتيجة أعمالي خلال هذه الأيام . ووضعت بين أيديكم مفتاح السر الذي تتوقف عليه حياة الجنرال "تريباسوف" ، وهو هذا الصك . فهل تنوون جلالتك تجاهل هذا السر وكتمانه .

ليس الأمر قاصرا على إطلاق سراح "ناتاشا" فحسب ولكنه يجب أن

يتعدى ذلك إلى إطلاق يدها ومنحها حرية العمل لإنقاذ حياة أبيها
بالطريقة التي تراها أفضل من غيرها .

فماذا تنوون جلالتم ؟

- هذه هي اول مرة استجوب فيها ياسيدي .

- عفوا يامولاي . ولكنها ستكون كذلك الأخيرة . إنني التمس من
جلالتم الجواب ..

- الجواب ؟ هل تظن أن من الحكمة في شيء أن أطلق يد هذه الفتاة
فتضع ملايين أبيها بين أيدي أعدائي ؟

- يا مولاي . إن أعداء جلالتم لم ينالوا هذه الملايين بعد فالجنرال
تريباسوف يناهز الخامسة والستين من العمر ولكنه لايزال ممثلاً
صحة ونشاطا . وسوف يقضي عشرات الأعوام قبل أن يموت ميتة
طبيعية .

وخلال هذه الأعوام سوف يكون أعداؤك قد جردوا من سلاحهم
واخضعوا ..

فغمغم القيصر بصوت أجوف :

- لا .. لا .. إن أعدائي لن يلقوا السلاح ولن يخضعوا أبدا .. إذ ما
الذي يجردهم من سلاحهم ويخضعهم .

فقال "بوريل" بهدوء :

- الإصلاح الاجتماعي يامولاي .

فنظر القيصر إلى محدثه الجريء واحمر وجهه غضبا غير أن
"بوريل" لم يغضض الطرف أمام نظراته .

فقال القيصر :

- هذا الكلام طيب يا فتى .. ولكنك تتكلم كالأطفال .

- مايتكلم طفل فرنسي إلى والد الشعب الروسي . قال ذلك بصوت
عميق .. فمرت بجسد القيصر رعدة طفيفة .. ونظر إلى "بوريل" في

سكون . فاستطرد "بوريل" :

- الإصلاح الاجتماعي .. والرحمة باموالي .

فاطرق القيصر برأسه لحظة ثم غمغم :

- حسنا .. سأترك الأمر لحكمة "ناتاشا" وارد إليها صكها .

ودق القيصر الجرس .

اما "بوريل" فإنه خرج إلى غرفة الانتظار . وهناك رأى "كوبريان" و"ماترينا بتروفنا" .

فنظر إلى الاول في تهكم وقال :

- ارى أنك عملت بنصيحتي . واصفيت إلى همساتي فلم يجب "كوبريان" .

اما "ماترينا بتروفنا" فإنها نظرت نظرة غامضة ولم تنطق بكلمة ، وما هي إلا لحظة حتى دعيت هذه السيدة الباسلة للتشرف بمقابلة القيصر .

وانتهز "كوبريان" هذه الفرصة فسأل "بوريل" في قلق :

- ماذا حدث ؟

- حدث ياسيدي أنني برأت نفسي امام القيصر من جميع التهم التي الصقتها بي . وأن جلالته لايزال حائرا بين "جوستاف بوريل" و"ارسين لوبين" .

- قلت لك إننا ننتظر رد الحكومة الفرنسية .

فقال "بوريل" وعلى شفثيه ابتسامه غامضة :

- تستطيع أن تبلغني هذا الرد ببرقية تبعث بها إلى باريس .. باسم "جوستاف بوريل" .. او "ارسين لوبين" .

ثم نظر في ساعته واستطرد :

- وذلك لأنني معتزم الرحيل بقطار السابعة .

- وجواز السفر ؟

- اعتقد ان جلالة القيصر سيمنحني جوازاً خاصاً يخولني حق السفر في جميع انحاء اوروبا مجاناً .. فعرض "كوبريان" على شفته ولم يجب . فقال "بوريل" :

- يامسيو "كوبريان" .. سوف يقول لك جلالة القيصر بنفسه إن الجنرال "تريباسوف" اصبح بمامن من كل خطر فهل تعرف معنى ذلك ؟ معناه أنك تسارع في الحال إلى إطلاق سراح "تومان" الذي اشتريت حياته بحياة الجنرال .

فقال "كوبريان" في قلق :

- إنني وعدت . وسأنفذ وعدي . ولكنني انتظر فقط ان يؤكد لي الإمبراطور نجاة "تريباسوف" .

وصمت لحظة ثم سال :

- و"ناتاشا" . ماذا نفعل بها ؟

- ماذا تفعل بها ؟ ألم تطلق سراحها بعد ؟ .. ويل لك .. ألم أقل لك إنها بريئة ..

- من السهل أن تقول ذلك . إذا كانت "ناتاشا" بريئة فمن هو المجرم إذن ؟

- يوجد مجرمان . أحدهما "ميشيل" .

- والثاني ؟

- اصغ ..

وأشار "بوريل" بأصبعه نحو مكتب القيصر . فأرشف "كوبريان" أذنيه .. وسمع بكاء "ماترينا بتروفنا" .. وعبارات الندم والاسف ..

فدهش "كوبريان" وزعر .. ولم يستطع أن يصدق اننية :

وفجأة .. فتح الباب . وخرج القيصر .. كانت تبدو على وجهه علامات الغضب الشديد .

قال له القيصر :

- سيدي .. يهمني كثيرا أن أرى الأنسة "ناتاشا" "فيودور" هنا قبل انقضاء ساعة .

يجب أن يؤتى بها محوطة بما هو جدير بمركزها من الاحترام والتكرم .

إنها بريئة يا سيدي .. ويجب أن نعوضها عما لحقها من غبن وعسف .

ثم تحول إلى "بوريل" وقال :

- لست أعرف ياسيدي كيف أثنيك على خدماتك المخلصة .. ونصرتك للحق والعدالة .

فجثا "بوريل" على ركبتيه أمام القيصر وقال :

- بحسبي أنني أرضيت ضمير مولاي . واديت المهمة التي نيظت بي .

- ابق هكذا علي ركبتك يا ولدي .

ثم تحول إلى كبير الأمناء وقال له :

- تجد في دولابي الخاص طائفة من أربطة الرقبة .. فجثني برباط

القديس "سان بول" من درجة فارس .

وهكذا انعم جلالة القيصر على "جوستاف" "بوريل" .. أو "أرسين

لويين" .. بقلادة القديس "سان بول" .

بيد أن "جوستاف" "بوريل" أو "أرسين" "لويين" .. كان أحوج إلى معطف

سفير البانيا منه إلى رباط القديس "سان بول" .

فلم يكد القيصر يفرغ من منحه القلادة حتى قبل يد القيصر .. وأخذ

يتراجع القهقري وهو لا يزال يحني قامته باحترام .. إلى أن وصل إلى

حيث ترك معطفة بجوار معطف سفير البانيا .

وبدلا من أن يحمل معطفة .. حمل معطف السفير .

ولا يعلم أحد .. هل وقع "جوستاف" "بوريل" في هذه الغلطة عمدا .. أو

عن غير قصد .

ومهما يكن من امر فإن سفير البانيا في روسيا لم يشعر بغلطة
المسيو "جوستاف بوريل وبضياح اوراقه الخصوصية إلا بعد ان
تخطى مفتش البوليس حدود روسيا .. بعد رحلة ممتعة .. كان فيها
موضع الاحترام والتبجيل .

كيف لا وهو يحمل جواز سفر رجل من رجال السلك السياسي ..
والأوراق التي بجيبه لاتدع مجالا للشك في أنه سفير البانيا في
روسيا.

"تمت"

هذه فرصتك .. أرسل طلبك اليوم .. !

الروايات الكاملة .. والمعربة

للروايات البوليسية العالمية

أرسين لوين

إدفع ثمن (٥) روايات واحصل على ٦

أخي القارئ العربي :

تحية وبعد،

هل سبق لك وسمعت عن روايات أرسين لوين

نعم..

إنها أشهر الروايات البوليسية..

هذه فرصتك اليوم.. وليس غداً، إن دار ميوزيك تتيح لك هذه

الفرصة النادرة، لإقتناء جميع روايات أرسين لوين.

نعم جميعها ومعربة !

ثمن النسخة الواحدة (٢) دولاران أمريكيان، وثمان (٦) ست روايات

(١٠) عشرة دولارات أميركية، وذلك تدفع ثمن (٥) خمس روايات

وتحصل على رواية إضافية مجانية.

ترسل الطلبات بموجب شيك على أي مصرف في لبنان وبالدولار

الأمريكي، ودار ميوزيك لا تتحمل مسؤولية إرسال أي مبالغ نقدية

داخل الرسائل !

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وأن يكون الشيك

مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : بإسم

دار ميوزيك

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
				١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١

الإسم :

العنوان :

ص ب المدينة : الرمز البريدي :

الدولة :

مرسل طيه شيك بمبلغ دولار أمريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.
سارع في إرسال طلبك !

١	أرسين لوبين بوليس آداب
٢	أرسين لوبين بوليس سري
٣	الماسة الزرقاء
٤	أرسين لوبين رقم ٢
٥	أرسين لوبين في السجن
٦	المعركة الأخيرة
٧	أرسين لوبين في موسكو
٨	أرسين لوبين في قاع البحر
٩	أرسين لوبين في نيويورك
١٠	أسنان النمر
١١	الميراث المشؤوم
١٢	أصبع أرسين لوبين
١٣	لصوص نيويورك
١٤	اعترافات أرسين لوبين
١٥	الإبرة المجوفة
١٦	الإنذار